556

٥٥٦

HARLEQUIN

عبير

www.elromancia.com

مرمورية

الادعاء الخطر

ستيفاني هاورد

الادعاء الخطر

ستيفاني هاورد

كانت راكيل تمضي في فلورنسا إجازة كانت هي في اشد الحاجة إليها، ولكن كلوديو ديلانجيلو كانت له أفكار مختلفة تماماً.

لقد قرر أن يستغل راكيل لإعادة زوج والدتها من حيث هرب منه، ولأنها كانت متلهفة إلى إنقاذ زوج والدتها، وافقت راكيل على خطة كلوديو... لكنها سرعان ما ندمت على قرارها هذا، ذلك لأنها بينما كانت تتظاهر بانها مغرمة بهذا الرجل ذي الجاذبية التي لا تقاوم، وجدت نفسها تتمنى لو أن هذا التظاهر يصبح حقيقة واقعة.

سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١,٥ دينار - المغرب: ٨ درهم مغربي. - سلطنة عمان ١ ريال. - تونس: ٢ دينار

«أتراك تصدمين بسهولة مثل والدتك؟»

«إذا كان حسب مقاييسك نعم.»

حملقت راكيل في كلوديو مستنكرة، وهي تقاوم شيئاً يدفعها لأن تعقد ذراعيها فوق صدرها، ان ذلك يجعلها حتماً تبدو محافظة متزمتة، وكان ما تريده هو ان تبدو هادئة ومسيطرة على الوضع مثله.

«انني اتساءل عما إذا كانت كل النساء الانكليزيات محافظات.»

«لماذا لا تذهب إلى انكلترا وترى بنفسك.»

ستيفاني هاورد...

ولدت ونشأت في داندي في اسكوتلندا، وتثقفت في مدرسة لندن للاقتصاد، ثم عملت صحافية لمدة عشر سنوات وذلك في مختلف مجلات لندن النسائية، وبينها مجلة وومنز أون. أمضت سنوات كثيرة تعمل في الخارج... في إيطاليا، ماليزيا، الفيليبين، والشرق الأوسط.

٥٥٦

khouloub Abir 556

الإدعاء الخطر

ستيفاني هاورد...

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

انتبه ألا تبتاع هذه الرواية من غير غلاف لأنها قد تكون مسروقة، فيجب إبلاغ الناشرين لأن الكتاب الذي لم يبع، يجب إتلافه، فأي من الكاتبة أو الناشرين لم يتقاضوا ثمناً لهذه النسخة المسروقة.

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية:

DANGEROUS PRETENCE

Copyright © by Stephanie Howard 1995

ISBN 0-263-78978-0

Mills & Boon first edition October 1995

عنوان الطبعة العربية الأولى عن دار م. النحاس

الإدعاء الخطر بقلم المؤلفة

ترجمة: بلقيس حوماني

سلسلة قلوب عبير ٥٥٦

حقوق النشر باللغة العربية محفوظة ومحصورة في جميع البلدان لدار م. النحاس لتوزيع الصحف والمطبوعات – بيروت (دار م. النحاس) بترخيص من هارلكوين انتربرايزس ليمتد (Harlequin Enterprises Limited).

جميع الحقوق محفوظة. باستثناء استعماله في أي مرجعية. يمنع استنساخ هذا الكتاب أو استعماله كلياً أو جزئياً بأي شكل وبأي جهاز من الأجهزة الالكترونية أو الميكانيكية أو الوسائل الأخرى، المعروفة الآن أو التي يتم في ما بعد اختراعها، بما في ذلك الوسائل الزيروغرافية والتصوير والتسجيل أو تخزين أي معلومات منها أو استعادتها بأي جهاز من الأجهزة، من دون الحصول على إذن من الناشر.

كل شخصيات هذا الكتاب ليس لها وجود خارج خيال الكاتبة، وليس لها أية علاقة بأي شخص قد يصدف ويتشابه اسمه مع أحد الأسماء في الكتاب ولا تستند شخصيات الكتاب، أو الأسماء التي تحملها إلى أية شخصية تعرفها، أو لا تعرفها الكاتبة، بل كل أحداث الرواية هي من نسج الخيال الصرف.

العنوان: دار م. النحاس لتوزيع الصحف والمطبوعات – بيروت – لبنان شارع فردان بناية رضوان الطابق التاسع: ص.ب: ١١/٩٧١٨ – فاكس: ٧٤٣٦٣١ (٠١) – هاتف: ٧٤٣٦٣٣ – ٧٤٣٦٣٤ (٠١) – ٢١٦٢٩٣ (٠٣)

الفصل الأول

فتحت راكيل مصراعي الباب وخرجت إلى الشرفة المغمورة بأشعة الشمس حيث اخذت تستنشق هواء توسكاني المشبع بشذا الأزهار والنباتات الخضراء، يا لروعة الهدوء والسلام الذي تستشعره في الأنحاء وهي تجيل نظراتها في هذه المنطقة الريفية بتلالها المكسوة بالكروم واشجار الزيتون والسرو القاتمة الخضرة والمتطاولة نحو السماء الزرقاء، وابتسمت وهي تسمع صوت الصرصار الكسول، في حديقة الفيلا، يعلو في حرارة ذلك الوقت من النهار.

إتكأت على درابزين الشرفة الحديدي وهي تنفض شعرها الأحمر الكث الجعد عن كتفيها إلى الخلف، وهي تذكر ما قالته لها صديقتها ابيجيل وهي تودعها في المطار منذ يومين: «لقد مضت عليك فترة صعبة مؤلمة، ولكن التغيير سيفيدك، سرعان ما تجدين نفسك قد نسيت هذه المحنة في وقت قصير.»

ابتسمت راكيل الآن، إذ يبدو ان الحق كان مع أبيجيل فها هي ذي هنا في فيلا والدتها الرائعة الجمال في سان كابانو من ضواحي فلورنسا، تشعر وقد تملكها الذهول، لأن كلام صديقتها كان صحيحاً، وان ما كان قلب حياتها رأساً على عقب اثناء الأسابيع القليلة الماضية قد ابتدأ يتبدد قليلاً، فقد عادت تتنفس بارتياح، لقد انتهت المحنة.

عبرت ذهنها لحظة، صورة مارك، سبب كل هذه المحنة. اما الآن وقد رحل من حياتها، فقد أدركت انها ستفتقده. ذلك ان صداقتهما كانت طويلة، وقد أمضيا معاً أوقاتاً سعيدة، ولشد ما كانت آسفة إذ تنتهي بهذا الشكل، فقد كان آخر ما ترغب فيه هو ان تجرحه وتسبب له الألم.

وتنهدت. كانت المشكلة هي انه لم يدع لها خياراً، لقد كانت مولعة بمارك، ولكن لم يكن هناك طريقة تجعلها تقبل التفكير بالزواج منه.

وما لبثت ان انتفضت متخلية عن هذه الأفكار الكئيبة، أليس هذا ما جاءت لأجله إلى هنا؟ لكي تنسى ما حدث؟ حيث انها بعد اسبوعين من التوتر والألم لأن مارك قد رفض قبول كلمة (كلا) على الفور قد أوحى إليها بفكرة فجأة، أو ليست هذه هي أحسن فرصة تستغل فيها دعوة والدتها المفتوحة على الدوام لزيارتها هي وزوجها دينو في توسكاني؟ وبعد، فقد حانت فرصتها السنوية ولم يكن لدى راكيل أية خطة لقضائها.

لم يأخذ منها الوقت سوى مخابرة واحدة إلى والدتها، فقد كانت والدتها اجابت: «ان رؤيتك ستسرنا جداً.» وذهبت راكيل في نفس اليوم إلى مكتب السفريات حيث حجزت مكاناً في أول طائرة.

اتكأت على الدرابزين وتنفست بعمق وارتياح بالغ، دون ان تفكر في عدة مفاجآت مثل ذلك السفر المفاجيء لوالدتها وزوجها دينو لزيارة اصدقاء لهما في كابري، ولكن رغم انها وحدها الآن، الا انها لم تندم على مجيئها، فهي في سكون هذا المكان الرائع الجمال، ستتمكن وفي أسرع وقت

ممكن، من رتق اعصابها الممزقة، وإذا بذلك السكون وفي تلك اللحظة بالذات، يتشتت.

ذلك ان دراجة نارية فضية ضخمة ظهرت فجأة من منعطف الطريق ومحركها يهدر مبعثراً الحصى في كل اتجاه، ليقف فجأة تحت شرفة راكيل، واخذت راكيل تنظر إلى اسفل متأملة تينك الكتفين العريضتين لذلك الرجل الذي كان يمتطي تلك الدراجة، أكان عليه ان يحدث كل تلك الضجة؟

وانحنت فوق الدرابزين وصاحت به: «هل تريد شيئاً؟» واخذت تتساءل عمن يكون، فهي لم تكن تتوقع زائرين.

لكن يبدو ان هذا الغريب والذي كان يرتدي سترة من الجلد، لم يسمعها، ودون ان يلقي نظرة إلى ناحيتها، كان يترجل عن الدراجة، ثم يتوجه نحو الباب الأمامي وبعد ذلك بلحظة كان رنين جرس الباب يتجاوب في أنحاء المنزل.

تباً لهذا الرجل واستدارت راكيل على عقبيها بضيق، عائدة إلى حيث هبطت السلم إلى الطابق السفلي، لا بد انه وضع اصبعه على جرس الباب والتصق هناك.

تباً له من وقح ألا يفكر ان من المفترض ان يكون اصحاب المنزل في قيلولتهم، انها ستلقنه درساً حال وصولها إلى الباب.

ولكنها ما لبثت ان جمدت في مكانها وهي على قمة السلم. لقد توقف رنين الجرس الثاقب، ما الذي كان يجري؟ ذلك ان الباب الخارجي قد انفتح على مصراعيه ليظهر الزائر غير المرغوب فيه في وسط الردهة.

ارتفع صوته مرعداً باللغة الإيطالية، لم تفهم منها سوى اسم زوج والدتها دينو.

انحنت راكيل على درابزين السلم وقد احمرت وجنتاها ضيقاً: «ما الذي يحدث؟ من تظن نفسك لتقتحم المنزل دون دعوة؟»

«ومن أنت؟»

وبدلاً من ان يقدم هذا الغريب بعض الإيضاح، استدار يواجهها بغطرسة، رافعاً رأسه ذا الشعر الأسود الفاحم، وحالما رأت راكيل وجهه عرفته على الفور.

لقد كانت رأت وجهه مرة في صورة فوتوغرافية، وكان وجهاً من قوة التأثير بحيث كان لا ينسى، فقد كان هذا الرجل الذي وقف ينظر إليها عابساً، هو كلوديو ديلانجيلو ابن شقيق زوج والدتها.

وكان هذا يفسر وجوده هنا، فقط ليزعج عمه دينو وكان هذا حسب قول والدتها، احب وسائل قتل الوقت لديه، وعلى كل حال فهو سيصاب بخيبة أمل عندما لا يجد دينو.

لكن راكيل تركت هذه المعلومات لنفسها، حالياً وعادت تهبط السلم عندما رأته مستمراً في عبوسه في وجهها، وهي تجيبه: «انا راكيل بينيت ابنة زوجة دينو.»

فرفع حاجبه: «ابنة اميلي؟ إذن فأنت المعلمة ابنة إميلي، أليس كذلك؟ يا لها من مفاجأة، خاصة في مثل هذه الظروف.»

«أية ظروف؟»

وكانت راكيل قد وصلت الآن إلى الدرجة قبل الأخيرة من السلم، وكان هذا آخر ما كانت مستعدة لنزوله، كما كانت

قررت. ذلك انها إذا تقدمت اكثر، فهذا الرجل الأسمر الفارع الطول سيشرف عليها من عليائه، وهو حتى في مستواه هذا، يبدو مسيطراً عليها بما فيه الكفاية.

كان وجهه غير العادي هذا هو الذي منحه هذا الطابع المسيطر. ووجدت راكيل نفسها تدرسه بصمت لحظة، وهي ترى أنه اكثر جاذبية من صورته، وذلك إلى حد لا يمكن تصديقه.

كان وجهاً ينطق بالكبرياء والعاطفة الجياشة والسيطرة بأنف قوي مستقيم وفم واسع وعينين عميقتين بسواد الليل كان يبدو في كل خط من ملامحه السيادة، وهاتان العينان بنظرتهما المتعجرفة، كانتا عيني امبراطور.

كان شعره الأسود مسرحاً إلى الخلف عن جبينه، وتصورته راكيل وهو يدفعه إلى الخلف بأصابع ضجرة، رأته رائعاً للغاية، وهذا ما يشغل البال.

وعادت تسأله: «أي ظروف تلك؟ ومن أنت؟» كانت قد عرفته، بالطبع ولكنها أرادته ان يقدم نفسه بنفسه، كما تقتضي آداب السلوك.

لكنه لم يجب على أي من السؤالين، وبدلاً من ذلك قال: «ما كنت لاعرف قط انك ابنة إميلي.» قال ذلك وهو يدرس تفاصيل ملامحها بنفس الدقة التي كانت هي فيها تدرس ملامحه.

اكتسحت نظراته قوامها الطويل الحسن التقاطيع، بما كانت تلبسه من قميص قطني أبيض مقفل، وتنورة زرقاء، ثم تمهل يمعن النظر في وجهها البيضاوي الناصع البياض، وفمها الرقيق الوردي، وأنفها اللطيف الشكل وعينيها

www.arabookstore.com

العسليتين الرصينتين نوعاً ما. واتجه نظره إلى شعرها الأحمر الثائر وهو يقول باسماً: «انك لا تشبيهنها على الاطلاق، شعرك الطويل هذا، مثلاً... لم ترثيه عن والدتك بطبيعة الحال.»

«لقد ورثته عن جدي. جدي بينيب.»

قالت ذلك وهي تبتسم لنفسها، ذلك انها طوال أربع وعشرين عاماً، كان شعرها المشتعل هذا مثار تعليقات لا تنتهي، حتى بين افراد أسرتها الذين كانوا مأخوذين بالواقع الذي جعل شعر بينيت ذاك يغفل جيلاً بأكمله ليعود إلى الظهور فيها هي وحدها دون أي من شقيقتيها أو ابناء عمها، وكانت راكيل لهذا دوماً تعتبر نفسها محظوظة.

ولكن مثل هذه الأفكار كانت بعيدة عن افكارها الآن وهي تنظر إلى وجه كلوديو، حيث كانت نظرة اعجاب سافر مرتسمة عليه.

ثم قال باسماً: «اعجب كيف ان والدتك لم تخبرني بأن لديها مثل هذه الابنة الصاعقة الجمال.»

على الفور دقت اجراس الإنذار في رأس راكيل، واخذت تفكر في ان والدتها ربما لم تكن مبالغة عندما اخبرتها بأن ابن شقيق دينو لم يكن فقط رجلاً عديم القيم والضمير لا يتورع عن شيء، وكانت راكيل قد تقبلت هذا الكلام ببعض التحفظ، ذلك ان والدتها كانت متزمتة خلقياً وتميل احياناً إلى المبالغة، ولكنها الآن وجدت نفسها تتساءل عما اذا كانت جملته الأخيرة لها ما هي سوى مقدمة لإغرائها. ولو كان هذا صحيحاً فهو سيصاب حتماً بخيبة أمل.

ألقت عليه نظرة غير مشجعة، ثم سألته بضجر: «ربما إذا لم يكن لديك مانع، بإمكاننا ان نستغني عن هذه التفاهات فتخبرني بدلاً منها عن سبب قدومك إلى هنا.»

ذلك انها ليست معروضة لسوق الإغراءات وكلما أسرع في ادراك ذلك، كان هذا افضل، واضافت ببرودة، رغم ان البرودة لم تكن من مزايا راكيل على الاطلاق، اضافت تقول: «نحن الاثنان لا نفعل سوى اضاعة وقت كل منا.»

«كلامك هذا صحيح.» تملكها الغيظ وهي تراه يبتسم بعد ان وجد برودتها نحوه شيئاً يبعث على التسلية. ثم مالبث الإشراق ان تبدد من ملامحه ليحتل مكانه العبوس وهو يقول: «انني بحاجة ماسة إلى الحديث إلى زوج والدتك.»

نظر في عينيها لحظة ثم ضاقت عيناه السوداوان وهو يقول: «هل خرج دينو ووالدتك إلى مكان ما؟ فأنا لم أر أثراً لسيارتهما في الخارج.»

فجاء دور ركيل الآن لكي تبتسم وهي تقول: «نعم، يمكنك ان تقول انهما خرجا، ولكن يبدو انك ضيعت وقتك في القدوم إلى هنا.» وإذ رأته يقطب جبينه، مالت على الدرابزين وهي تقول: «لقد ذهبا إلى كابري لزيارة بعض الأصدقاء.»

«إلى كابري؟»

اظلمت أسارير كلوديو للتو، وضاقت عيناه حتى اصبحتا اكثر حدة من السيف وهو يسألها: «هل انت واثقة تماماً من ذلك؟»

«واثقة تماماً وكما سبق وقلت لك فقد ضيعت وقتك سدى.

ولكن إذا شئت ان تترك خبراً له، يسرني ان اوصله إليه عندما يعودان.»

لم ينتظر منها ان تنهي حديثها، وكانت في منتصفه تقريباً عندما استدار فجأة قائلاً: «انا بحاجة إلى شراب.» ثم اتجه نحو غرفة الطعام بخطوات عديمة الصبر، تباً لوقاحته، من تراه يظن نفسه، وهو يتصرف في هذا البيت وكأنه ملكه، بينما الحقيقة انه حتى غير مرغوب به؟ فوالدتها والتي بصراحة، لم يسبق ان ذكرته بكلمة واحدة حسنة، كانت ستثور غضباً لو انها علمت ان كلوديو هذا هو حالياً في غرفة طعامها يتناول فيها الشراب.

اعتدلت في سيرها وهي تهبط الدرجتين الباقيتين مجتازة الردهة بخطوات بالغة العزم والتصميم، حسناً انها لا تريده هنا، هي أيضاً، وستتخلص منه الآن، وفي الحال وقبل ان يجلس وكأنه في بيته.

لكنها عندما وصلت إلى عتبة غرفة الطعام، كان كلوديو قد بدا فعلاً وكأنه في بيته تماماً، إذ كان جالساً في احد مقاعد والدتها الخضراء اللون وهو يفتح علبة عصير يبدو انه احضرها لتوه في الثلاجة، كان قد خلع سترته الجلدية ملقياً بها على وسائد الأريكة فبدت ذراعاه بكميهما المرفوعين، سمراوين بجانب لون القميص ذي اللون الفاتح الزرقة.

نفت من ذهنها هذه الأفكار على الفور، ورفعت إليه بصرها وهي تسأله عابسة: «لماذا انت هنا؟ ولماذا جئت؟ ومما أعرفه عنك، يمكنني ان اتكهن بأن هناك بعض المشاكل.»

«وما الذي تعرفينه عني؟»

«انني اعرف من أنت.»

«لقد كنت تتوقعين قدومي، أليس كذلك؟»

«كلا، لم اكن في الحقيقة.»

«كيف تعرفينني إذن؟»

«لقد جمعت اثنين واثنين معاً، قلت انك تريد ان ترى دينو، فافترضت انك ربما ابن شقيقه.»

اثناء كلامها، عقدت ذراعيها فوق صدرها وبقيت واقفة عند عتبة غرفة الطعام. لقد قررت ان لا تعترف له بأنها ميزته من صورته، إذ لم تكن لديها رغبة في ان تشبع غروره باعترافها بأن وجهه له ميزة خاصة، وبدلاً من ذلك، اضافت تقول بلهجة بعيدة عن المديح: «وبجانب ذلك فقد كنت علمت شيئاً عنك، فمنذ اللحظة التي اقتحمت بها البيت، أدركت انك لا يمكن ان تكون شخصاً غيره.»

«إن لي إذن شهرة في اقتحام منازل الناس، أليس كذلك؟» وابتسم كلوديو هازلاً وهو يستند إلى الخلف ناظراً اليها «لا أدري لماذا اكتسبت مثل هذه الشهرة.»

فترددت راكيل لحظة عندما تلاقت عيناها بعينيه السوداوين. عندما كان يتكلم كانت تفكر في أن في صوته اجمل نبرة غنائية، فكل شيء قاله كان أشبه بالموسيقى، ما جعلها تنسى، لحظة واحدة فقط، كم هو يبعث على الضيق.

ثم عاد ضيقها منه على الفور، فاستقامت في وقفتها: «ليس هذا ما كنت أعنيه. فأنت ليس لديك شهرة في اقتحام

منازل الناس، ان لديك فقط شهرة في كونك شخصاً متحكماً لا يطاق.»

كانت قد ترددت إزاء صراحتها هذه، بالنسبة إلى تهذيبها الانكليزي، ولكنها عادت فتساءلت عما يمنعها من ان تجرحه؟ فهو قد سبق وأساء اليها باقتحامه المنزل.

ثم بجانب ذلك كانت تعرف جيداً بأن ليس هناك ما يجرحه، فرجل لديه هذا القدر من الشعور بأهميته، لا يمكن ان تجرحه إهانة صغيرة.

وكان الحق معها، فهو لم يظهر أي أثر في الشعور بأن كرامته قد جرحت، بل بالعكس، فقد بدا مبتهجاً بهذه المناوشة الكلامية، فقد كانت العينان السوداوان تلتمعان ابتهاجاً تحت حاجبيه الفاحمي السواد. ثم قال وهو يأخذ جرعة من العصير: «متحكماً لا يطاق؟ لا أدري من هو الذي اطلق عليّ هذه الصفة.»

لم تقل راكيل شيئاً، فقد كانت هذه كلمات والدتها، رغم انها رأت بنفسها ان كلام والدتها صحيح، فقد كان التحكم الذي لا يطاق هي صفته الغالبة.

أحست بأنه قد أدرك ما تفكر فيه، وبكل تأكيد. لقد كانت واثقة من ذلك. فقد كانت والدتها هي التي وصفته بأنه متحكم لا يطاق... ولكنه استمر في الابتسام بذلك الشكل الهازل ما بدا معه وكأنه لم يهتم لذلك مثقال ذرة.

ثم قال لها: «إذن فهذا ما احضرني إلى هنا، فأنا اتطلع إلى إثارة المشكلات، كما تقولين، ولكن ماذا بالنسبة اليك انت؟ ما الذي احضر ابنة اميلي إلى تلال توسكاني الخضراء؟»

«انني هنا في عطلة، أي شيء غير هذا يمكن أن اكون حضرت لأجله؟»

«لا أدري أي شيء يمكن ان يكون، ولكن الفضول يتملكني لكي اعرف.»

«لا شيء آخر وإنما هي العطلة، كما قلت لك.» ولكنها رغم إصرارها هذا، وجدت نفسها تحمر خجلاً وإزاء تلك النظرة الحادة المتشككة التي رمقها بها، فقد بدا وكأنه يرى ما بداخلها ويقرأ اسرارها، وكأنه كان يعلم ان هذه لم تكن مجرد عطلة بسيطة، وان هنالك شيئاً شخصياً خاصاً جداً قد دفعها إلى ذلك، ولكن من حقها ان تحتفظ بأسرارها، فهي ليست لمسامع كلوديو، فالمحنة التي جاءت لكي تشفى منها هي ليست من شأنه على الاطلاق.

تنفست بعمق، ثم عادت تقول بثبات: «انها مجرد عطلة.»

فأومأ قائلاً رغم ان الشك مازال في عينيه: «فهمت، ثم هل جئت وحدك أم انك احضرت معك صديقة؟»

«بل جئت وحدي.»

«ما أغرب هذا.»

«لا شيء غريباً في هذا.»

«ربما لا، خصوصاً إذا كنت تتوقعين قضاء الوقت مع والدتك، وفي كل الحالات توقيتك هذا كان سيئاً نوعاً ما، أليس كذلك؟»

«ماذا تعني؟» هذا وان كانت تعلم جيداً ما كان يعنيه.

«حسناً، انك تقولين ان والدتك ذهبت مع دينو إلى كابري،

www.elromancia.com

وهذا في رأيي توقيت سيء لذلك، وسوء حظ أيضاً، خصوصاً وكنت قد وصلت لتوك، كما هو واضح.»

اخذ ينظر لحظة إلى بياض وجهها وذراعيها، ثم تابع: «انك وصلت لتوك، أليس كذلك؟ فإن منظرك مازال انكليزياً تماماً.»

«نعم، لقد وصلت لتوي، وذلك منذ يومين.» ونظرت إلى بياض ذراعيها، قائلة باعتذار: «فلم يكن لدي وقت لاكتساب شيء من السمرة.»

«تبدين رائعة الجمال ببياضك هذا.»

وعاد ينظر اليها بإعجاب سافر، ما جعلها تحمر خجلاً.

نعم، فقد وجدت نفسها تفكر فيه، إذ لا شك انه رجل خبير تماماً إذا كان الأمر متعلقاً بالنساء، ولم يكن من الصعب رؤية السبب الذي يجعلهن يلاحقنه. ذلك لأن جمالاً بالغاً كان يكمن في عينيه السوداوين العميقتين الكثيفتي الأهداب، ووجدت راكيل نفسها تتذكر بعض القصص التي كانت والدتها اخبرتها بها عن اعداد النساء اللواتي كان تعرف اليهن ليحطم بعد ذلك، قلوبهن، ثم اخذت تتساءل عما إذا كان إخبارها له انها وحدها في المنزل، من الحكمة في شيء، تملكها شعور بالتوتر، وحدثت نفسها بأنها إذا اقترب منها ستحاربه بيديها، ولكنها لم تر في حديثه اليها أيّ أثر من الإغواء، بل على العكس كان فيه نوع من الاتهام.

كان يذكرها بقوله: «ولكننا كنا نتحدث عن التوقيت السيء، رغم انني اشتبه في ان هناك شيئاً اكثر من مجرد التوقيت السيء، هنا... في رأيي ان من الغرابة ان

تذهب والدتك وزوجها إلى كابري ويتركاك وحدك وذلك لحظة وصولك، إلا إذا كان هنالك سبب منطقي لا اعرفه لهذا.»

ما الذي كان يهدف إليه؟ لم يكن لديها فكرة عن ذلك رغم انها هي نفسها وجدت الأمر غريباً عندما اعلنت لها والدتها في أول ليلة لها هنا، انها وزوجها دينو كانا قد سبق وقررا الذهاب في زيارة إلى بعض الأصدقاء في كابري، ولكن راكيل لم تشأ ان تعترف بذلك لكلوديو، بدلاً من ذلك قالت له تدافع عن والدتها: «هذا ليس غريباً في الواقع، فقد جئت بشكل مفاجيء، وبالتالي لم يكن من الغرابة ان يكون لدى والدتي وزوجها خطط لأعمال أخرى سبق واتفقا عليها مع بعض الأصدقاء.»

فقال وهو يتابع النظر اليها بتلك الطريقة المستهزءة: «كان بامكانهما ان يأخذاك معهما، أليس ذلك هو الشيء الطبيعي؟ إلا اذا كان هناك طبعاً سبب يجعلك تفضلين البقاء من دونهما.»

«لم يكن هناك أي سبب.»

قالت ذلك وكأنها تدافع عن نفسها، فقد رأته يقترب من كشف أسرارها مرة أخرى... ذلك ان رحيل والدتها وزوجها إلى كابري جعلها سعيدة، في الواقع كثيراً حيث ان انفرادها بنفسها في مثل هذا المكان الهادىء الرائع هو كل ما هي بحاجة إليه لاستجماع شتات نفسها، وفي الواقع كانت مسرورة نوعاً ما عندما لم تدعها والدتها إلى الذهاب معهما إلى كابري.

قالت له: «إنني لست طفلة، وبإمكاني إدارة أموري

بنفسي، انا فتاة كبيرة الآن ولست بحاجة إلى والدتي لرعايتي.»

لكنها ما ان لفظت تلك الجملة (انا فتاة كبيرة الآن) حتى ندمت على ذلك، فهي قد بعثت في عينيه لمعان التهكم. كان مايزال يبتسم وهو يقول لها: «أنا في غاية السرور لسماعي انك قادرة على إدارة أمورك بنفسك.» ثم نظر اليها لحظة قبل ان يرفع كوب العصير إلى فمه يشرب آخر ما بقي فيه، ثم يمد يده به اليها قائلاً بابتسامة متغطرسة متهكمة: «وهل انت قادرة أيضاً على العناية بضيوفك؟ انني أريد المزيد من العصير.»

تبأله، وتمنت لو تقول له انها تتمنى لو تفرغ كوب العصير على رأسه، ولكنها بدلاً من ذلك ردت عليه بحدة: «انك لست ضيفي، وما دمت انهيت كوب العصير، أرى ان ترحل الآن، يظهر انني اجبتك على اسئلة كثيرة دون ضرورة لأن ما تقوم به والدتي وزوجها ليس من شأنك.»

«اظنني اعتبر هذا من شأني، ثم انني لن أرحل الآن.»

«آه، بل سترحل.» تقدمت راكيل خطوة منه، عازمة على اختطاف الكوب الفارغة من يده والتي كانت مدلاة بشكل عفوي يثير الضيق من على ذراع الكرسي. ولكنها ما لبثت ان أمسكت نفسها عن ذلك وهي تفكر في انها إذا اقتربت منه إلى ذلك الحد، فقد يمسك بها، وأرسلت هذه الفكرة قشعريرة رعب في جسدها.

يبدو انه تكهن بنيتها، فابتسم لها قائلاً: «هيا... تقدمي وخذيها، وبإمكانك بعد ذلك ان تعودي إلى ملئها من احد العلب الموضوعة في الثلاجة التي خلفك مباشرة.»

«لم يكن في نيتي إعادة ملئها لك، وإنما اعادتها إلى المطبخ، فقط لأجل ان تعلم انك غير مرغوب بك هنا.»

«وما الذي منعك؟»

«سلوكي الطيب. لقد قررت ان اكون مهذبة واطلب منك الرحيل مرة أخرى.»

«سأرحل بطبيعة الحال.» ووضع الكوب على الأرض بجانبه، مثيراً في نفسها الأمل في انه سيرحل حقاً، ولكنه عاد ليسترخي في مقعده مرة أخرى، محطماً ذاك الأمل، ثم نظر اليها.

«فقط بعد ان تجيبيني على بعض الأسئلة.»

«لن اجيب على مزيد من اسئلتك، وقد سبق واخبرتك بذلك.»

ثم دست يديها في جيبي تنورتها وواجهته بضيق بالغ: «ان لديك من هدوء اعصابك ما يجعلك تجلس هنا لكي تقذفني بأسئلتك المزعجة.»

فهز كتفيه قائلاً: «اظن عليك ان تعيدي ذلك إلى طبيعتي المتحكمة التي لا تطاق.» وابتسم لحظة، ثم عادت أساريره تتخذ سمة الجد. «ثم في الحقيقة عليك ان تكوني من الحكمة بحيث تتعاونين معي، فأنا لن أرحل قبل ان احصل على بعض الأجوبة.»

حملقت راكيل فيه، كانت الطريقة التي يجلس بها لا تطاق، وكأن لديه كل الحق في ان يكون هنا، جالساً على مقعد والدتها الأخضر ذي الذراعين، مادأ ساقيه الطويلتين امامه وقد احاطت به هالة من السلطة.

وتذكرت الآن شيئاً آخر كانت والدتها اخبرتها به: «انه

شخصية كبيرة، فهو لا يتعدى الرابعة والثلاثين ولكنه احد المهندسين المشهورين في أوروبا. وهو يحب ان يعامل كشخصية مهمة، أيضاً. فما يقوله كلوديو ديلانجيلو يسري بشكل آلي.»

كان تصرف راكيل الطبيعي نحو مثل هؤلاء الأشخاص هو ان تتجاهلهم. فقد كانت تكره الشخصيات المغرورة والمتحكمين الذين يشعرون بأهميتهم، ولكن يبدو ان تجاهلها له لم يكن يجدي كثيراً، فقد كان يعني ذلك حقاً، وهو ان لا يرحل قبل ان يحصل على أجوبة لأسئلته.

وإذا بها تشعر فجأة برغبة عميقة في ان تجعله يرحل. فقد كان في وجوده شيء يجعلها في غاية الضيق، فقد كان يدمر عالمها الهادىء هنا، ويدب الفوضى في هدوئها الذهني الثمين.

تنفست بعمق، ثم اتخذت قراراً، قد يكون من مصلحتها ان تتعاون معه قليلاً، فقالت له: «لا بأس، اسألني ما تريد، وسأبذل جهدي في الإجابة.»

حدثت نفسها بأن ليس لديها ما تخفيه، ولكن يبدو انه يعتقد ان هنالك اسراراً تجري في الخفاء، ولكنه مخطىء طبعاً في ذلك.

فابتسم راضياً، ثم اتكأ في جلسته بمزيد من الراحة، رغم ان ظلاً من الشك مازال في نظراته، ربما كان يظن كل شخص آخر محتالاً مثله، تابع يقول: «وهكذا ذهبا إلى كابري، كما تقولين... لزيارة بعض الأصدقاء... كم سيمضيان هناك من الوقت؟»

كانت والدتها غامضة بعض الشيء بالنسبة لهذا الأمر،

فأجابته قائلة: «لا أدري بالضبط. كل ما قالاه هو انهما سيكونان هنا حتماً قبل ان أرحل.»

«ومتى سترحلين؟»

«إنني سأبقى حوالي الثلاثة اسابيع.»

فأبدى إشارة عدم استحسان حادة وهو يقول: «حوالي ثلاثة أسابيع؟ إذن فسيمر وقت لا بأس به قبل ان تعود والدتك ودينو.»

«نعم، اخشى هذا.» وسرّت في نفسها وهي تراه مستاءً، فقد كانت تشعر برضى عميق إذ ترى خيبته.

نظر اليها متسائلاً: «عليّ في مثل هذه الحالة، ان اذهب محاولاً العثور عليهما، اظن لديك عنوان اقامتهما هناك.»

فهزت راكيل رأسها: «كلا، ليس لدي العنوان.» ومع انها ابتهجت لنظرة الخيبة التي بدت في عينيه لجوابها هذا، فقد خطر في بالها ان من المؤسف انها لا تعرف عنوان إقامة والدتها وزوجها. ذلك انها كانت تشعر بأنها إذا ما زودته بالعنوان الذي يطلبه لاستقل دراجته النارية ورحل تاركاً إياها بسلام.

وهكذا ألقى عليها نظرة خطرة: «هل انت واثقة بالنسبة إلى ذلك؟»

«واثقة تماماً.»

«رقم الهاتف، إذن؟ لا بد انهما تركا لك رقم الهاتف على الأقل.»

فهزت راكيل رأسها مرة أخرى: «لقد كانت والدتي قالت انها ستتركه لي على دفتر الهاتف في المطبخ... ولكنني عندما بحثت عنه، لم أجده، ولا شك انها نسيت ذلك.»

«اظن ذلك.» كانت لهجة كلوديو قاسية، ثم جلس مائلاً إلى الأمام وقد ضاقت عيناه قليلاً وهو يخاطبها قائلاً: «إذن فليس لديك عنوان ولا رقم هاتف، هذا ما تريدينني ان اصدقه.» ابتسم عابساً، وعيناه السوداوان في عينيها: «ولكن لا بد انك على الأقل تعرفين اسم الأصدقاء الذين ذهبا لزيارتهم.»

«حتى هذا لا اعرفه مع الأسف.»

وخطر في بالها فجأة ان جهلها هذا بكل شيء كان حقاً شيئاً يرثى له، فأخذت تبحث في ذهنها لحظة ما لبثت بعدها ان ابتسمت وكأنها تذكرت شيئاً: «فرانكو وماريا... اظن هذا ما كانا قالاه، أو ربما كان فرانكا وماريو، انا آسفة.» ولم تستطع مقاومة ابتسامة ظهرت على شفتيها.

لكن كلوديو لم يبادلها الابتسام، وبدلاً من ذلك بدا مظهره كالعاصفة: «فرانكو وماريا... هذان، أو فرانكا وماريو... ألم تعرفي كنيتهما؟»

فتنهدت راكيل: «آسفة فهما لم يذكرا أسماء أخرى.»

مضت لحظة طويلة لم يقل كلوديو فيها شيئاً، ثم سمرها بنظرة بدا وكأنها اخترقتها مباشرة ثم سألها: «اتراك تخبرينني بالحقيقة ام انك تكذبين؟»

«ولماذا اكذب؟ ليس لدي ما يدعوني إلى ذلك.»

«بل اظن لديك، اظن ان كل ما اخبرتني به ما هو إلا حزمة من الأكاذيب.»

انفجرت تقول غاضبة: «لا احب ان يدعوني احد كاذبة، ليس لدي ما اخفيه، وكذلك والدتي وزوجها. فلو كنت اعرف مكانهما لأخبرتك.»

«هل كنت ستخبرينني حقاً حتى ولو كانت والدتك ودينو قد طلبا منك ألا تفعلي؟»

«ولكنهما لم يخبراني بألا افعل، ثم لماذا يخبرانني بذلك، على كل حال؟»

«ربما كانا لا يريدانني ان اعرف مكانهما.»

«حسناً، يمكنني ان اتعاطف معهما بهذا الشأن.» لم تستطع راكيل مقاومة الرغبة التي تملكتها لهذا، إلا انها أسرعت تؤكد له. «ولكنهما لم يطلبا مني ان لا اخبرك، وعلى كل حال، كيف يمكنني ذلك وأنا نفسي لا اعرف؟»

وتنفست بصبر نافد: «انك تتحدث وكأن هناك نوعاً من المؤامرة، ولكنني أؤكد لك ان ليس هناك شيء كهذا، ان كل شيء عادي تماماً، لقد ذهبا إلى كابري لرؤية بعض الأصدقاء، ثم نسيا ترك رقم...»

سكتت فجأة وهي تراه ينهض واقفاً بقامته الفارعة المهيبة، وكان يقول: «كلا، لا اظن ان الأمر هو بهذا الشكل... لا اظنه كذلك على الاطلاق.»

تقدم نحوها خطوة ويداه في جيبي بنطلونه وعيناه على وجهها يمعن فيه النظر بعنف: «هل اخبرك بما أراه؟» وسكت لحظة عابساً، ثم تابع يقول: «إلا اذا شئت طبعاً، ان تخبريني أولاً.»

جف حلق راكيل تماماً، فقد بدا لها أشبه بفهد على وشك الانقضاض، وقالت له: «لا أدري ما الأمر، اعني... انه كما اخبرتك...»

فوقف امامها مباشرة، ثم قال: «اظن الأمر بهذا الشكل، اظنهما هربا إلى كابري وتركاك هنا لتحمي الحصن...»

«ماذا تعني بقولك (تحمي الحصن)؟ وماذا تعني بقولك (هربا).»

وفجأة، اذا بها تشعر بمخالب الذعر في داخلها. فقد كانت طريقة وقوفه امامها تبعث على القلق البالغ، وما كان يقوله كان يشتت ذهنها، وكل هذا في وقت واحد جعلها تجد صعوبة في التنفس.

خطت إلى الخلف وهي تترنح، قائلة بسرعة: «ما الذي تظنهما هربا منه؟»

عند ذلك ابتسم كلوديو، ولكنها ابتسامة دون مرح، ثم اجابها وهو يقترب منها خطوة: «اظنهما هربا مني.»

«منك؟»

ابتلعت ريقها وهي تطرف بعينيها بينما كان هو يقول: «لقد علما انني في طريقي إلى هنا، فقد كنت اخبرتهما بأنني قادم هذا النهار، وكنت قد حذرتهما منذ ايام مما أنوي القيام به، فهما يعرفان ما كنت اخطط لعمله.»

«وما الذي كنت تخطط لعمله؟»

حاولت راكيل الابتعاد عنه مرة أخرى، ولكن كعب حذائها علق بطرف السجادة، فحاولت ان تخلصه منها وهي لا تكاد تسمع ما يقوله.

«كنت اخطط لطردهما من الفيلا، فقد عانيت الكثير من حيلهما واكاذيبهما.» وارتسمت على شفتيه ابتسامة حاقدة.

عندما سكت ليلتقط انفاسه، زادت القسوة في عينيه: «ولكن يظهر انهما هربا وتركاك تحرسين الحصن في غيابهما...»

في تلك اللحظة بالذات كانت راكيل قد نجحت في

تخليص كعب حذائها، واثناء الذعر الذي تملكها تحركت بسرعة فإذا بها تتعثر فتصطدم ذراعاها الممدوتان لكي تحتفظ بتوازنها بصدر كلوديو.

لكنها لم تسقط على الأرض لأن كلوديو أمسكها بمعصمها يديرها نحوه بسرعة وكأنها دمية من الخزف لا حياة فيها.

وقال: «وعثوري عليك هنا هو تطور مثير في الأمر. وهذا ما لم اتوقعه قط... والآن، ما علي ان أقرر هو ماذا سأفعل بك؟»

www.elromancia.com

الفصل الثاني

تجمد جسم راكيل وأخذ قلبها يخفق بعنف، وساورها لحظة شعور بأنها فقدت السيطرة على نفسها وانها اصبحت تحت رحمته.

لكنها وبقوة مستميتة سرعان ما جذبت نفسها من يده مبتعدة وهي تستجمع شتات نفسها، لتستدير بعد ذلك نحوه تواجهه وعيناها العسليتان تنفثان نار الغضب: «إذن فانت تتساءل عما عسى ان تفعله بي، أليس كذلك؟ حسناً، دعني اخبرك بأنك لن تفعل شيئاً.» كانت تضع يديها على وركيها ملقية إلى الخلف بشعرها الأحمر تبعده عن وجهها المتوهج. «فدعنا نوضح هذا منذ البداية.»

كان كلوديو قد تراجع خطوة إلى الخلف وهو يتفحصها وقد كسا ملامحه مزيج من الاعجاب والتسلية.

«أراك محاربة تماماً، امرأة عنيفة حمراء الشعر، سأحاول ان اتذكر ذلك في المستقبل.»

«نعم، تأكد من ذلك من فضلك.»

ثقلت انفاسها وهي تتابع مواجهته بغضب. لم تكن قد فكرت قط بنفسها محاربة، وهي لم تفكر في محاربة احد، كما انها لم تتشاجر مع مارك مرة واحدة خلال السنتين اللتين عرفته فيهما، ولكن كلوديو ديلانجيلو كان مختلفاً جداً عن مارك الهادىء المهذب، وهي لن تسمح له بأي طريقة كانت بأن يهزمها.

قالت له محذرة: «اذا كنت تبحث عمن تريد ان تتحكم بها، فالأفضل ان تبحث عن فتاة أخرى.»

فبدا على كلوديو الذهول: «اتحكم بك؟ وهل انا اتحكم بك حقاً؟ كل ما كنت اقوم به هو انني كنت احاول ان اشرح وجهة نظر.» سكت ثم وبابتسامة خبيثة تعلقت نظرته بنظرتها لحظة ثم قال: «إذا كنت تتذكرين فانت التي ابتدأت لمستني أولاً.»

«انا لم المسك، وانما فقدت اتزاني لاغير، بعد ان علق كعب حذائي بطرف السجادة فلم استطع الهرب منك.»

قالت ذلك وهي تتذكر فجأة كيف تصرفت بتلك الطريقة المفزعة عندما اقتربت منه. ما الذي جرى لها؟

«تهربين مني، لماذا؟ وماذا ظننتني سأفعله بك؟» ورفع حاجبه تهكماً.

فقابلت نظرته بثبات: «ليس لدي فكرة. ولكنني لم اشأ البقاء قريبة منك لكي اعرف.»

عند ذلك هز كلوديو رأسه ونظر في عينيها لحظة، وما لبث وجهه ان اشرق بابتسامة الإدراك، وهو يقول: «آه، ما الذي كانت إميلي تقوله لك عني؟ هل كانت تخبرك بأنني انسان لعوب أو ما اشبه؟»

«ليس تماماً.»

ولكن راكيل اجابته بذلك وهي تخفض بصرها، ذلك ان حكايات والدتها المخيفة عن قساوته تبادرت إلى ذهنها منذ لحظات فقط عندما أمسكها بمعصمها حين أوشكت على السقوط، من يدري ما هو المتوقع من شخص له مثل هذه السمعة؟

ابتدأ كلوديو يبتعد عنها، وهو مايزال يهز رأسه باسماً، ثم

www.elromancia.com

عاد ينظر إليها رافعاً حاجبه: «والدتك تظن انني مهووس.» وقلب شفتيه بخبث، كان من الواضح انه يرى هذا التقييم يدعو إلى التسلية. «وهل هذا ما تظنينه أنت بي أيضاً؟»

«ليس لدي فكرة في الواقع. فأنا لا اعرفك.»

كانت لهجة راكيل قاطعة فهذا لم يكن موضوعاً تريد متابعته، فهو يبعث في نفسها الضيق. «ولكن والدتك صارمة للغاية، واقل شيء يصيبها بصدمة.»

وجلس على ذراع المقعد ثم سألها: «وماذا عنك؟»

«ماذا عني؟»

«هل انت سريعة الإصابة بصدمة مثل والدتك؟»

«ربما انا كذلك حسب مقاييسك انت.»

حملقت فيه باستنكار وهي تقاوم الرغبة في عقد ذراعيها فوق صدرها والذي يمنحها مظهر الخائفة، وكان ما ترغب فيه هو ان تبدو بمثل برودته وسيطرته على الوضع.

بدا وكأنه يفكر في جوابها، ثم عاد يسألها: «هل هذه شخصيتك، إذن؟ معلمة مدرسة صارمة؟»

«قلت لك انني ربما كنت كذلك حسب مقاييسك.» يا له من فظ عنيد.

ولا بد انه أدرك ما تفكر فيه، لأنه تابع يقول بنقد جارح: «هل كل النساء الانكليزيات صارمات؟»

«لماذا لا تذهب إلى انكلترا وترى بنفسك؟» شعرت برغبة في ان تقول له ان يذهب الآن في هذه اللحظة... انها مستعدة لأن تدفع له أجرة السفر من جيبها، لو اقتضى الأمر، فقط لتتخلص منه.

«آه، لقد كنت هناك فعلاً، ولكنني اقمت فيها اسبوعين

فقط، وهذا وقت لا يكفي لمعرفة المزيد من النساء.»

«كلا؟ انك تدهشني، كنت اظن ان اسبوعين هو وقت كاف تماماً، إذ بالنسبة إلى اندفاعك نحو النساء، لا بد انك تعرفت إلى اكثر من عشرين امرأة في تلك المدة.»

كان هذا تصرفاً انعكاسياً منها صدر عنها قبل ان تستطيع منعه، ولكن ما ان قالته حتى شعرت بالذعر من نفسها، عضت على شفتها وكأنها تمنع بذلك المزيد من الكلام، وعقدت فجأة ذراعيها على صدرها.

«اكثر من عشرين امرأة في اسبوعين؟ هل هذا ما تخبرك به والدتك؟ حسناً عليّ ان اعترف بأن هذا إطراء بالغ لي، وان كان فيه بعض المبالغة في التقييم.»

واستقرت عيناه على وجه راكيل وهما تتألقان بالهزل: «انني بوجه عام، أميل إلى تفضيل النوعية على الكمية، فالحب أشبه بموسيقى موزار لا ترينها جميلة اذا استعجلت بها، ألست من رأيي.»

كانت راكيل تحاول السيطرة على الغضب الذي كان يتملكها، فضمت شفتيها بشدة.

«هل ذلك يعني انك لست من رأيي؟ ام ان ليس لديك رأي؟»

«انه يعني انني لا اريد الحديث في هذا الموضوع.»

كانت تريد ان تقول هذا بلهجة لاذعة، ولكنها صدرت عنها بشكل متكلف متحفظ، وتملكها الإنزعاج فجأة وهي تفكر في ما ستبدو عليه من التزمت. ورجل من نوع كلوديو نادراً ما يعجبه ذلك، رغم انها بعيدة ظاهراً، عن ان تكون ذات مظهر مبالغ في الاحتشام، وهذا دون شك ما يعجب شخصاً فاسقاً مثل كلوديو.

ما لبث ان هز كتفيه: «لا بأس فلنغير الموضوع، رغم انني لا اظنك ستستمتعين بهذا الموضوع أيضاً.» تغيرت ملامحه وهو يقول ذلك، وذهب منها كل أثر للهزل. «اذا كنت تذكرين فقد كنا نتحدث عن المكان الذي يمكن ان يكون فيه دينو ووالدتك.»

«ظننت اننا انتهينا من هذا الموضوع، فقد اخبرتك انني لا اعرف مكانهما.»

وبالرغم من نبرة انعدام الصبر في لهجتها، فقد شعرت بالارتياح لتغير الموضوع، صحيح ان هذا الموضوع شائك كالذي سبقه، ولكنه اقل خطورة. ان بامكانها مواجهة عداوته بسهولة.

«انني اعرف ما كنت اخبرتني به، ولكن هذا لا يجعلني اصدقك.» وبدت القسوة في عينيه حتى اصبحتا كالصوان: «كنت أرجو ان تحدثيني بالحقيقة هذه المرة.»

«الحقيقة هي ما اخبرتك به.»

عادت تنظر اليه شاعرة بالسرور لمظاهر الاحباط والخيبة عليه، وإذا بها تتذكر شيئاً فقطبت جبينها وهي تقول: «ما الذي كنت تعنيه بقولك انك جئت إلى هنا لطرد والدتي ودينو؟ وهل بإمكانك طرد احد من بيته؟»

«كلا، لا يمكنني ذلك.»

«هذا هو رأيي.»

«ورأيك صائب، ولكن هذا ليس بيتهما، ذلك لأن هذا البيت هو لي.»

«لك؟»

«ألم يخبراك؟»

«ان هذا بيتك؟ كنت اظنه بيت دينو، كلامك هذا غريب جداً.»

«هذا بالنسبة اليك... ولكنه الحقيقة، وهكذا ترين ان هذا يفسر قدرتي على طردهما.»

«هذا إذا كان كلامك صحيحاً.»

«انه صحيح.»

«وما الذي جعلهما يعيشان هنا؟»

«انهما يعيشان هنا لأن المفروض ان دينو سيشتري المنزل مني، كانت هذه هي الخطة التي كنا اتفقنا عليها، ان لدي منزلاً جديداً ولم اعد احتاج إلى هذا، وهكذا عندما انتقلت منه، سمحت لهما بأن ينتقلا إليه.»

«وهل الآن فقط غيرت رأيك؟ فشعرت فجأة بانك لم تعد تريدهما هنا بعد الآن؟ هل ذلك لأنك اختلفت مع عمك؟»

ونظرت اليه مستنكرة.

«ربما كان الأمر بالعكس وكان خلافي مع عمي للطريقة غير المسؤولة التي عالج بها مسألة شراء المنزل.»

بدا وكأنه على وشك ان يقول شيئاً آخر، ولكنه عاد فسكت مفكراً وهو ينظر من خلال النافذة إلى منظر التلال الخضراء والسماء الزرقاء، وعندما تابعت راكيل نظره شعرت بطعنة حادة من الإحباط وهي تقارن هذا المنظر الهادىء خلف النافذة بجو الغرفة المتوتر.

السلام والسكون هو ما جاءت تنشده هنا. ووجدتهما، كانا حولها في كل مكان، واذا بهذا الرجل السيء يأتي ليزج بها في هذا النزاع التافه، وحدقت فيه باستياء عندما التفت اليها متابعاً: «لا أدري مبلغ معلوماتك، ولهذا لن اخوض في

www.elromancia.com

التفاصيل، ولكن فلنقل باختصار، ان عمي مديون لي بمبلغ كبير من المال، مبلغ كبير جداً، انه دين يبدو انه لا يريد الوفاء به. ولهذا قررت ان الوقت قد حان للقيام بشيء في هذا السبيل.»

لا يمكن ان يكون هذا حقيقياً، لا بد انه اخترع هذه القصة، جاعلاً من دينو نذلاً بينما النذل هو نفسه.

سألته ذاهلة رغم ان قسوته لم تذهلها: «اتعني انك ستطردهما من المنزل لأن دينو قصر في دفع عدة كمبيالات من ثمن المنزل؟ ما دام لديه اقارب مثلك، فهو حتماً لا يحتاج إلى اعداء.»

فابتسم لدى سماعه هذا، ثم قال: «بالعكس فهو محظوظ لأنني كنت صبوراً معه للغاية.» وازدادت ابتسامته اتساعاً وهو يراها تعبس غير مصدقة، كلوديو صبور؟ اسهل عليها ان تصدق ان الخشب يغرق.

واضاف هو يقول: «ثم ان صبري قد فرغ.»

«ان طردك لهما من المنزل لهو أمر مشين، إلى اين تظنهما سيذهبان؟»

فقال ببرودة: «هذه ليست مشكلتي.» ومال في كرسيه يتأملها بصمت لحظة ثم ابتسم. «يبدو ان مشكلتي هي انت.»

«انا؟ لا ادري كيف انني اسبب لك أي مشكلة.» واذا بها تشعر بشيء في اعماقها ينبهها، ألم يسبق ان قال لها شيئاً كهذا عندما قبض على معصمها في وقت سابق؟ وشعرت بسرور بالغ لكونها تقف بعيدة عنه.

سألته: «وما شأن هذا كله بي أنا؟»

«كثير جداً، كما يبدو لي.»

«أوضح من فضلك.»

«وهل انا بحاجة إلى ذلك حقاً؟ وهل انت حقاً من البراءة بالقدر الذي تريدين مني ان اصدقه؟»

فتنهدت قائلة: «لقد عدنا إلى نظرية المؤامرة كما أرى، انك تظنني مشتركة في وضع تمثيلية امنعك بها من طرد والدتي وزوجها من المنزل، ولكن ليس بامكانك طردهما، على كل حال، فقد ذهبا إلى كابري.»

«وتركاك تحمين الحصن.»

«أحمي الحصن؟»

«تحمين ممتلكاتهما.»

«ماذا تعني بـ («احمي ممتلكاتهما؟»)

ثم نظرت اليه مصعوقة بعد ان أدركت ما يعني «اتعني انك كنت تريد ان تنقل أمتعتهما؟»

«بصراحة، كنت افضل لو قاما بذلك بنفسهما، كما كنت اخبرت عمي في آخر مرة تحدثت إليه فيها هاتفياً، ولكنني اخبرته أيضاً بانهما إذا لم يخليا البيت فسأرسل شاحنة لتقوم بالمهمة.»

«اتعني ان هذا هو السبب في مجيئك إلى هنا؟ لكي تلقي بأمتعتهما خارجاً؟ حسناً أنا آسفة لأن وجودي قد أفسد عليك هذه المتعة.»

فابتسم لسخريتها هذه. ولم يهتم لكونها تراه كعقرب سامة، وقال مصححاً قولها بلهجة ناعمة: «انها ليست متعة بالضبط، فما كنت لأصل معهما إلى هذا الحد.»

«أحقاً ما كنت لتفعل ذلك؟ كنت اظن ان إلقاء الناس ومتاعهم في الخارج هو من الاعمال التي تسرك.»

www.elromancia.com

حملقت فيه فجأة لهذا العمل المشين، لقد جعلت والدتها وزوجها من هذا المكان سكناً رائع الجمال، لا بد انهما بذلا فيه عناية بالغة، ولكن كلوديو ديلانجيلو كان يريد ان يمزقه لا شيء إلا لأن دينو لم يستطع تسديد بعض الأقساط، إنه عمل بربري، لم يكن لهذا الرجل أي قلب.

«إذا أردت ان تعرف رأيي، فهو ان هذا عمل فاضح.»

«وهل هذا هو السبب في وجودك هنا؟ لأنك تظنين ذلك أمراً فاضحاً؟ ألهذا السبب غرساك هنا؟ لكي تمنعيني؟»

«لم يغرسني احد هنا، وعلى كل حال، كيف يمكنني منعك؟ ان منعك من القيام بشيء وضعت عقلك فيه هو، دون شك يستلزم اكثر من أنثى ضعيفة.»

«انك لست أنثى ضعيفة، وإنما العكس.» وعندما ابتسم لها، لم تتحول عيناه عن وجهها، ولم تستطع هي تجنب الشعور بعينيه تجولان في انحاء جسمها.

قالت له: «يبدو اننا ابتعدنا عن الموضوع مرة أخرى، كنا نتحدث عن خطتك لإخلاء منزل والدتي...»

«هذا صحيح، وكنت تقولين كم هو صعب منعي من القيام بشيء سبق وصممت عليه.» نظر في عينيها وهو يبتسم بتهكم، ثم تابع: «انك جيدة في الحكم على المزايا، فهذا صعب جداً في الواقع. لأنني إذا صممت على شيء فسأحصل عليه بنسبة عشرة من عشرة.»

ومرة أخرى أخذت راكيل تتساءل عما إذا كانت مخيلتها هي التي جعلتها ترى لمعة تحذير في عينيه، جاعلة ادعاءه هذا يبدو وكأنه يعلن عن نية ما، وكأنه يقول: إذا انا صممت على الحصول عليك، فلن يكون لك مهرب مني.

وسواء كان هذا من عمل مخيلتها أم لا، فقد شعرت راكيل بالتوهج حول عنقها، وقد تملكها شعور خفي عميق، حدثت نفسها بأنه رعب... غضب... انها تفضل الموت على ان تسمح له بوضع يده عليها.

تبا له من رجل... ما الذي يفعله بها؟ استعادت توازنها ثم استدارت تلوح بيدها في أنحاء الغرفة: «حسناً، تابع مهمتك في إخلاء المنزل، اذا كان هذا سبب مجيئك إلى هنا، فكما سبق وقلت لك، لن استطيع منعك، واطمئنك إلى انني لست مغروسة هنا لأحاول ذلك.»

نظر اليها لحظة، وكأنه يفكر في تحديها هذا له، وأخيراً قال: «ربما لا، ربما ظنا أنني كنت اخادعهما، أو ربما ظنا ان التهذيب يمنعني من إلقاء ضيفتهما خارجاً.»

فقاومت رغبتها في الضحك، ثم قالت: «إذن يبدو انهما أساءا الحكم على المزايا، فأنا توقعت ان القائي خارجاً مع الأثاث سيزيدك متعة.» وألقت عليه نظرة قاسية. «فهل ستلقي بي خارجاً؟ هل تريدني ان اصعد إلى غرفتي واحزم امتعتي؟»

بقي كلوديو لحظة لا يقول شيئاً، ثم نهض واقفاً وتقدم إلى حيث سترته الجلدية فتناولها، وفي هذه اللحظة سقطت أشعة الشمس المتسربة من النافذة على شعره الذي تألق، واظهر جانب وجهه القوي الوسيم، بينما اخذت تتأمله وتفكر في انه فعلاً ذو وسامة غير عادية، ساورها الأسف لكون شخصيته قذرة بهذا الشكل.

وضع سترته على كتفيه، ثم التفت اليها يقول: «هذا ليس ضرورياً.»

فساورها شعور سريع بالفوز، رغم انها حاولت ان لا تظهره، أتراه سيعترف بهزيمته ويخرج؟ يبدو ذلك، وقال برقة: «كلا، انا لن ألقي بك خارجاً إذ نتيجة ذلك ستكون عكس المطلوب.»

لم تشأ راكيل ان تجادله، وعندما اخذ في الإقتراب منها واضعاً يديه في جيبي بنطلونه، قررت تقديم شيء من التشجيع له لعمله هذا: «إذا اتصلا بي سأعرف مكانهما واخبرك به، اترك لي فقط رقم هاتفك لأتصل بك.»

«يا لك من متعاونة.»

«هنالك دفتر في مكان ما، هنا.» وجالت بنظراتها حولها، وإذا بعينيها تقعان على دفتر قرب الهاتف خلفها، فمدت يدها تتناوله ومعه القلم الذي كان بجانبه، ثم مدتهما إلى كلوديو قائلة: «يمكنك ان تكتب رقم هاتفك هنا.»

لكن كلوديو تجاهل الدفتر والقلم وهو يتقدم ليقف امامها ويلقي عليها سؤالاً ازعجها كلياً: «أي من غرف الضيوف تستعملين؟»

سكتت ركيل لحظة، وهي تتساءل عما عسى ان يكون هدفه، مرغمة نفسها على مقاومة الشعور الذي تملكها بالرغبة في القفز بعيداً عنه، ثم ما لبثت ان ردت عليه قائلة: «مادمت تسأل، فأنا في الغرفة الأمامية.»

فأومأ قائلاً: «حسناً.» ثم مر بها متجاهلاً الدفتر والقلم اللذين كانت ماتزال تعرضهما عليه، وعندما وصل إلى العتبة وقف وقال لها من فوق كتفه: «في هذه الحالة سأنتقل أنا إلى الغرفة الخلفية.»

«ستفعل ماذا؟»

وقفت وقد فغرت فاها ذاهلة وهي تراه يعبر الغرفة متجاهلاً ذهولها هذا تماماً، واسرعت هي خلفه تطلب ايضاحاً: «كلا، أبداً.»

كان هو يسير نحو الباب الأمامي الذي كان مايزال مفتوحاً، حيث خرج إلى الدراجة النارية وهو يرتدي سترته الجلدية، وبعد لحظة كان يمتطيها، ثم ألقى عليها نظرة متغطرسة.

«قلت انني سأنتقل إلى الغرفة الخلفية.» ثم ابتسم وهو يضيف بصوت يعلو على هدير المحرك: «سنتحدث في هذا الأمر عندما اعود، ان لدي خطة كما ترين.»

«خطة؟ أي خطة؟ أرجو ان تكون هذه مزحة.» ولكن كان بإمكان راكيل ان توفر على نفسها عناء الكلام لأن كل ما حصلت عليه جواباً لسؤالها هو وقوفها وهي تشتعل غضباً، تنظر اليه منطلقاً على طول الطريق وهدير الدراجة يصم الآذان بينما الحصى يتناثر في كل الإتجاهات.

* * *

بعد ان هدأت راكيل قليلاً، حدثت نفسها بأنه لا بد كان يمزح وان ليس في نيته ان ينتقل إلى المنزل.

ربما أراد تخويفها لكي تتعاون معه وتخبره عن مكان والدتها ودينو. لأنه كان من الواضح انه لم يقتنع بأن ليس لديها فكرة عن ذلك.

كان واضحاً أيضاً انه كان يلاحقهما، فهل كان صحيحاً انهما ذهبا إلى كابري هرباً منه، كما قال؟ ولم تعرف ما تصدق، ولكن هناك شيئاً، شيئاً لا يعجبها... كان يحدث.

اخذت راكيل تجهد ذاكرتها في تذكر أي شيء من الممكن ان تكون والدتها قد اخبرتها به في رسائلها أو مكالماتها الهاتفية الأخيرة، ولكنها لم تتذكر أي شيء يمكن ان يلقي ضوءاً على الوضع. كما لم تسمع شيئاً منها اثناء المدة القصيرة التي امضتها معها ومع دينو قبل سفرهما إلى كابري ما عدا الكلمات المعتادة مثل (الكريه، المتحكم) كلوديو.

ولكنهما في الواقع لم يكن لديهما وقت للإفضاء بأي شيء لها، حتى ان راكيل لم تجد فرصة تخبرهما فيها عن عرض مارك للزواج، والذي ربما كان شيئاً حسناً، كما رأت راكيل، ذلك أنه منذ زواج والدتها من رجل الأعمال دينو منذ سنتين، وذلك بعد ترمل طويل موحش، اصبحت والدتها هذه من اشد المناصرين للزواج، وربما اخذت تحاول إقناع ابنتها بأن تغير رأيها، وما كانت لتنجح، طبعاً، ولكنها كانت ستلح في ذلك. ففي هذه الأيام كانت لا تحب شيئاً اكثر من رؤية كل شخص يلبس خاتم زواج، ولكن لم يكن هذا موضع اهتمام راكيل الآن، وهي تدور حول الفيلا، وقد تملكها التوتر. ما كانت تشعر حقاً بالرغبة فيه، هو السباحة في البحيرة أو التمدد على مقعد تحت اشعة الشمس وفي يدها كتاب. ولكن كيف يمكنها ان تفعل ذلك بينما كلوديو قد يحضر في أية لحظة؟ كان من المستحيل ان تلتمس الراحة والاسترخاء بينما تهديده ما زال يجول في خاطرها.

ذلك انها عندما يأتي تريد ان تكون موجودة لتجابهه وتطلب منه الرحيل بسرعة، وأي مجابهة مع كلوديو ستكون اسهل كثيراً إذا كانت مرتدية ثيابها الكاملة.

وما ان انقضت ساعة حتى سمعت راكيل هدير الدراجة

النارية العائدة إلى الفيلا، فأسرعت إلى الباب الأمامي وفتحته، كان القادم هو كلوديو بالطبع وقد بدا بكل غطرسته المعهودة وحاملاً هذه المرة حقيبة منتفخة من الجلد.

لم يكن من الواضح انه سينتقل فقط وإنما كان واضحاً انه قد اعد نفسه لذلك لفترة طويلة. وقفت على درجات الباب الأمامي كالصخرة، انه مجنون إذا كان يظنها ستسمح له بذلك.

عندما رأته متوجهاً نحوها بتلك الابتسامة المتغطرسة التي أثارت غضبها، استقامت في وقفتها وعقدت ذراعيها فوق صدرها، رفعت رأسها وهي تقول له محذرة: «إياك ان تقترب خطوة واحدة، فهذا منزل والدتي، وانا لا اريدك هنا.»

«نعم، هذا ما أراه.» وكان قد وقف امامها. وعيناه فوق وجهها وقد بدت عليه التسلية واضحة لأساريرها الغاضبة. ولكن رغم ان لهجته كانت خفيفة، إلا ان التحذير كان يكمن فيها وهو يضيف قائلاً: «ولكن التفاصيل الضرورية التي لديك هي غير صحيحة، فالمنزل هو ملكي، كما سبق واخبرتك، ولهذا أرجو منك الوقوف جانباً لكي أمر.»

«كلا.»

«كلا؟»

«كلا، لن اسمح لك بالمرور. ربما هذا البيت هو ملكك حقاً، رغم انني اشك في ذلك، ولكنه مايزال بيت أمي، وليس لديك الحق في الانتقال إليه.»

«هذا ما تظنينه أليس كذلك؟ حسناً دعينا نتناقش في هذا الأمر في الداخل.» وتقدم كلوديو خطوة نحوها.

على الفور بسطت راكيل ذراعيها تسد عليه الطريق وهي تعود إلى الاحتجاج: «كلا، لن اسمح لك بالدخول.»

إذا كان سيمر، سيكون عليه ان يرفع جسمها عن الأرض
وإذا تجرأ ووضع يده عليها فستحاربه بكل قوتها، سترفس
وتصرخ وتضربه بقبضتيها.

وهكذا حملقت فيه محذرة: «إياك، إياك ان تتصرف بغلظ
وإلا فستندم، حذار إذن.»

اخذ كلوديو ينظر إليها لحظة باهتمام واضح، ث
ارتسمت على شفتيه شبه ابتسامة.

«حسناً، لن اتصرف بغلظة.» ثم وقف ينظر اليها بينما هي
تحملق فيه بنظرة قتالية وهي تحدث نفسها بقولها: ربم
يحاول إرهابي لكي يجعلني اتحول جانباً، حسناً، اذ
سرعان ما ستملكه الدهشة، فأنا لا اخاف بسهولة، وسأبق
واقفة بهذا الشكل إلى ان تسقط ذراعاي من التعب.

ولكن هذا حدث عندما قام هو بعمل غير متوقع عل
الاطلاق.

ذلك انه وبسرعة خاطفة كان قد حملها ووضعها جانب
ثم دخل بينما وقفت هي مذهولة تنظر اليه بغباء، مشت
الذهن، بينما كان هو يقول وعلى شفتيه ابتسامة تهك
«تعالي معي إلى الداخل، وسأحدثك بكل ما أنوي القيام به
ثم توارى في الردهة.

بقيت راكيل لحظة واقفة في مكانها، كانت ذراعا
مازالتا مرتخيتين وقلبها يخفق كالرعد، حاولت ان تستع
توازنها، ماذا حدث لها؟ كيف سمحت له بأن يحملها؟ ك
هذا تحقيراً لشانها، وعليها ان تخجل من نفسها إذ لم تق
شيئاً مما كانت تنويه لو حدث ذلك. ولكنه حدث دون ان تا
بحركة!

ها هو ذا الآن قد اصبح في الداخل، لقد هزمها، ولا شك
نه يضحك منها الآن، شاعراً بمبلغ مهارته.

استدارت على عقبيها غاضبة، حسناً لم ينته شيء بعد،
حقاً انه نجح في الدخول، ولكنها ما زالت قادرة على
طرده... وتحذيره من مخادعتها بهذا الشكل مرة أخرى.

دخلت يدفعها غضبها المتزايد، واتجهت رأساً إلى غرفة
لجلوس، متوقعة ان تراه قد عاد يجلس في احد مقاعد
الدتها الخضراء وفي يده كوب عصير، ولكنها لم تر أثراً له
ناك، لا بد انه صعد إلى غرف النوم.

صعدت راكيل راكضة تقريباً إلى حيث اتجهت نحو
غرفة الخلفية، كانت وكأنها تريد ان تسرع مادامت في قمة
غضب فقد خشيت ان هي أبطأت، ان ينفث غضبها ذاك.

كان الباب نصف مفتوح، فاندفعت إليه عديمة الصبر:
هل انت في الداخل؟ أريد ان اتكلم معك، ان لم يكن لديك
انع.» وقبل ان تسمع الجواب، دفعت الباب بيدها وهي
تابع قائلة: «ان ما بيننا لم ينته بعد و...»

سكتت فجأة وقد جمدت الكلمات على شفتيها، رأته واقفاً
جانب النافذة وهو يهمّ بخلع ملابسه.

استدار كلوديو بسرعة اليها ويداه على زر قميصه وهو
قول باسماً بخبث: «اتقولين (ان ما بيننا لم ينته بعد)؟ انك
هشينني، فأنا لم اكن أدرك مقدار شوقك. ولكن اذا كنت
صرين، يسرني ان اكون تحت أمرك.»

حملقت راكيل فيه، ولكن غيظها كان في الواقع، من
سها. وشعرت بالاشمئزاز يتملكها وهي تقول: «كلا،
كراً.» وبقيت جامدة في مكانها عند العتبة. «ولكن العمل

الذي قلت عنه انه لم ينته بعد، هو انني لم اوافق على بقائك هنا، ولهذا من فضلك لا تحاول تثبيت نفسك هنا.»

تجنبت النظر إلى حقيبة الثياب المفتوحة والقمصان المنشورة على السرير، خطر في بالها انها ربما تأخرت في تحذيره هذا.

ولكنه، على كل حال لم يهتم بكلامها، وقال: «فكرت في الخروج للسباحة. وعند ذلك يمكننا أنا وأنت ان نتبادل الحديث، وفي نفس الوقت لماذا لا ترتدين ملابس السباحة وتأتين معي؟ ان ثمة مكاناً فسيحاً في البحيرة.»

لكن راكيل لم يكن لديها رغبة في ان تعرض نفسها لنظراته الفاسقة، وعندها تركته وعادت ادراجها، متجاهلة صوت ضحكته تتبعها على طول الممر.

تملكها غيظ بالغ وهي تراه يمضي ساعة تقريباً في البحيرة، وكانت هي جالسة في شرفة المطبخ تراقبه وهو يفتح إحدى المظلات ثم يتمدد في الشمس.

تحركت في مقعدها بقلق واضطراب، كانت تأمل في ان يكون من الذوق، بحيث يرتدي ثيابه وبذلك يتمكنان من تبادل الحديث بشكل مهذب، وكان عليها ان تتكهن بأن ما كانت تتوقعه هو كثير عليه.

حسناً انها لن تنتظر إلى الأبد، فنهضت من مكانها غاضبة، نحو توجهت ثم البحيرة، وعندما وصلت إلى حيث كان متمدداً في أشعة الشمس، وقفت تحملق فيه، ولكن بدلاً من ان تبدأ مباشرة بالحديث، كما كانت تنوي وجدت نفسها تتردد لحظة.

كان متمدداً مغمض العينين ويداه تحت رأسه، ما جعل مظهره يبدو رائعاً.

«بدلاً من وقوفك هكذا، لماذا لا تجلسين معي؟» فتورد وجهها لكلامه، إذن فهو يعلم انها واقفة تنظر اليه، وعادت تشتم نفسها، ما الذي حدث لها؟ وما الذي يجعلها تسمح لنفسها بهذه التصرفات الحمقاء؟

عندما فتح عينيه لينظر اليها ابعدت نظراتها عنه متظاهرة بأنها تنظر حولها باحثة عن مقعد آخر لنفسها، وكان هناك واحد خلفها مباشرة، فذهبت اليه تجره إلى جانب كلوديو تحت المظلة، انما ليس قريباً جداً منه.

«لماذا لم تسبحي معي في البحيرة؟ ما الذي حدث؟ ألا تحسنين السباحة؟» وكان قد رفع نفسه قليلاً إلى حد يمكنه معه من ان يراها بشكل افضل، وتابع: إن مياه البحيرة رائع البرودة، عليك حقاً أن تجربيه.»

«نعم، أنا أحسن السباحة، ولكنني سأحاول ذلك فيما بعد. شكراً.»

نظر إليها باهتمام: «إنك حكيمة إذ تتمددين في الظل. فالبشرة البيضاء كبشرتك تحترق بسرعة. ما يجعلك بحاجة إلى العناية البالغة بها.»

كانت ركيل تعرف هذا، فهي دوماً حريصة على الاقلال من التعرض للشمس قدر امكانها، ولكنها لم تكن تريد محاضرات من كلوديو ديلانجيلو تعلمها العناية ببشرتها، وعلى كل حال، فهي لم تأت إليه لتبادل أحاديث كهذه.

ألقت عليه نظرة سأم وهي تقول: «لا أدري ما هو عملك هنا، فهو عديم الجدوى حقاً، أعني إزعاج نفسك بالانتقال وغير ذلك، فأنا لا اعلم اين هما، ثم كما سبق وقلت لك، إذا علمت عنوانهما سأتصل بك واخبرك على الفور.»

ثم تنفست بعمق وهي تسأله بغضب: «فلماذا إذن لا تصنع معي معروفاً وتحزم امتعتك وترحل؟»

«آه، لا تقلقي، فسأرحل، ولكن كل شيء في وقته، ولكن قبل ذلك لدي شيء في ذهني.» وابتسم.

«هل هي الخطة التي كنت تحدثت عنها؟»

قالت له هذا باستخفاف، فهي لا يهمها الحديث عن خطته هذه، ولكن لا بأس مادام يريد ان يحدثها عنها على كل حال، وهكذا لوت شفتيها وهي تقول: «وما عسى ان تكون هذه الخطة؟»

مضت لحظة قبل ان يجيب، ومازالت عيناه السوداوان تراقبانها وفيهما معنى جعل راكيل تشعر بالاضطراب.

ثم ابتسم وببساطة متناهية وكأنه يقدم اليها كوباً من الشاي قال لها: «خطتي هي اننا نحن الاثنين، علينا ان نصبح حبيبين.»

الفصل الثالث

«ماذا قلت من فضلك؟»

سألته راكيل ذلك وهي تكاد تسقط على الأرض. أترى هذا الرجل قد أصيب بالجنون؟

أطبقت شفتيها بشدة وهي تقول:

«إنها وقاحة بالغة. من أين لك هذه الجرأة في أن تقول شيئاً كهذا؟»

فضحك دون اهتمام بغضبها: «لماذا لا؟ ألا تعجبك فكرة أن نصبح حبيبين؟»

«تعجبني الفكرة؟ تعجبني الفكرة؟» وكادت عينا راكيل العسليتان أن تخرجا من محجريهما. «إنك مهووس.»

وتساءلت عما اذا كان عليها ان تنهي هذا الحديث حالاً، ثم تنهض وتذهب في الوقت المناسب، رغم ان ما حدثتها به نفسها، لو سمحت لها قوتها بذلك، هو أن تحمله وتلقي به في البحيرة... رغم أن هذا لن يكون عقاباً مناسباً لها حيث ان بإمكانه أن يسبح كالسمكة.

حملقت فيه قائلة: «كانت أمي على حق، فأنت رجل لا تخجل.»

اوما كلوديو قائلاً: «إنني مسرور لأنك أتيت على ذكر أمك في هذا الحديث. ذلك انني عرضت عليك هذا الاقتراح لأجل أمك قبل كل شيء.»

فسادت الحيرة ملامحها وهي ما زالت تحملق فيه:

www.elromancia.com

«أتعني أن اقتراحك بأن نصبح حبيبين، هو لأجل أمي؟ لماذا؟ وما الذي جعلك تظن أنها ستوافق على ذلك.»

بدت السخرية في لهجتها وهي تنطق بجملتها الأخيرة، وابتسمت لهذه الفكرة الجنونية. فأمها المسكينة، لو عرفت لكان ذعرها أكثر من ذعرها هي.

لكن كلوديو كان يهز رأسه قائلاً: «على العكس تماماً، فقد اقترحت هذا لأنني كنت أعلم أن أمك كان سيغمى عليها لهذا السبب.»

فعبست راكيل في وجهه: «ولماذا تريد ان يغمى على أمي؟»

«حيث إننا وصلنا الى لبّ المشكلة...» وابتسم فجأة: «بالمناسبة، يبدو أنني غفلت عن ايضاح نقطة هنا... فأنا فقط كنت اقترح أن ندعي بأننا حبيبان.»

«ندّعي؟»

«يبدو عليك خيبة الأمل.»

فاحمر وجهها: «لا يبدو عليّ شيء من هذا النوع. فإذا كان بدا عليّ شيء، اطمئنك إلى أنه ارتياح تام وإن كنت لا أنوي القيام بادعاء كهذا.»

لكنه كان مستمراً في القول بسرور خبيث وكأنها لم تقل شيئاً: «ذلك أنه من السابق لأوانه قليلاً القول بأننا حبيبان حقيقة.»

(من السابق لأوانه قليلاً)... يا له من رجل عديم الخجل.

فأسرعت تصحح قوله: «ليس الأمر أنه سابق لأوانه، وإنما هو أنه مناف للعقل.» وعبست في وجهه. إذ رغم

احساسها بالخجل، إلا أن الفضول تملكها لمعرفة ما وراء هذا الاقتراح الجنوني: «وما الذي يجعلني أدعي هذا الأمر المثير للاشمئزاز؟»

فتجاهل كلوديو هذه الإهانة، وقال: «لأنها الطريقة الوحيدة التي تجعلك تخلصين مني.»

«ما الذي تتحدث عنه؟ ولماذا يكون هذا هو الطريق الوحيد الذي يخلصني منك؟»

كان واضحاً أن كلوديو مستمتع بحيرتها هذه فعاد يجلس على مقعده وهو ينظر إليها لحظة، ثم ألقى عليها سؤالاً: «ماذا ستقول أمك لو أنها علمت أنه قد قامت بيني وبينك علاقة؟»

كان هذا سؤالاً سهلاً. فأجابته قائلة: «كما قلت أنت، سيغمى عليها.»

«وبعد أن تستفيق من اغمائها، ماذا تظنينها ستفعل؟»

«ربما ستعود لتنفس عن مشاعرها وذلك بتهديدك بعقاب جسدي مؤلم.»

ابتسمت راكيل هي تقول ذلك، وقد تذكرت ما قالته أمها مرة عن كيف سيكون تصرفها لو أنها كانت والدة إحدى تلك الفتيات الشابات اللاتي كن يخرجن مع كلوديو، قالت ذلك في احدى رسائلها: «سأمزقه، عند ذلك، إرباً أرباً واجعل من أمعائه مطاطاً لجواربي.» وكما قالت أم لثلاث فتيات: «إنني لن أسمح له بأن يكون على بعد أقل من ميل من أيّ من بناتي.»

كان كلوديو ينظر إليها وهي تفكر في ذلك، فقال: «أرى أن احتمال اصابتي بعقاب جسدي، يسرك.»

www.elromancia.com

«دعنا نقل إنه لا يثير استيائي بالضبط.»

فكرت بأن ذلك ليس أكثر مما يستحق. رغم أنه خطر في بالها أن كلوديو لن يكون فريسة سهلة. وفي الواقع كان من الصعب التصور أن كلوديو يمكن أن يكون ضحية على الاطلاق.

هذه الفكرة أفسدت عليها متعتها نوعا ما. وعادت الرزانة تكسو ملامحها. «ثم لماذا تريد من أمي أن تأتي لمحاربتك؟ هل تستمتع بتكدير الأمهات؟»

اومأ رأسه قائلاً: «إنك لم تفهمي الغرض. غرضي هو، كما قلت أنت، أنها ستسرع في المجيء إلى هنا، ودينو خلفها، بطبيعة الحال. وحيث انك ترفضين ان تعلميني إلى أين ذهبا، فهذا سيوفر عليّ الانزعاج من التسكع في هذا المكان فأكون قد ظفرت بهما بسببك.»

«آه، لشدّ ما أنت مخادع.» وابتسمت له متشككة، دون أن تدرك تماماً كيف ينبغي أن تواجه تحايله هذا. حتى انها رأت في هذه الخطة مهارة ملحوظة. إذ أنه ما أن ينتشر أمر وجود علاقة بينها وبين كلوديو حتى تعود أمها حتماً بسرعة الريح.

وقالت: «ليس كل شخص يمكنه ان يضع خطة كهذه.»

فقال باسماً: «شكراً. فقد قبلت هذا الإطراء.» ولكنه كان يعلم جيداً أن راكيل لم تكن تقصد الإطراء حقاً. ورفع حاجبه يسألها: «إذن، أنت موافقة؟»

فرفعت راكيل حاجبيها تبدي دهشة ساخرة: «أتريد القول ان لا بد من رأيي في هذا الأمر؟»

«طبعاً، وبعد، فأنا بحاجة إلى تعاونك.»

«حسناً، في هذه الحالة، جوابي هو، كلا.»

نظر إليها بهدوء: «أظنك تسرّعت بجوابك هذا. فكري لحظة واحدة فقط، وأنا واثق من أنك ستجدين هذا من مصلحتك كما هو من مصلحتي. لا أنا ولا أنت نريد أن نضيع وقتنا في هذا المكان وهكذا، كلما اسرع دينو وأمك بالعودة، كلما أصبحنا أسعد، نحن الاثنين.»

«ولكن ليس ثمة فائدة من تسكعك هنا. فلا شيء هناك تكسبه من ورائي. فأنا قلت لك، وما زلت أردد، إنني لا اعرف أين أمي وزوجها.»

«أعرف ما قلته لي، ولكن ليس عليّ أن اصدقك، وهكذا، سواء اعجبك أم لم يعجبك، فسأبقى هنا إلى أن يعود عمي وأمك.»

فعادت إلى مخيلتها صورة حقيبة ثيابه الجلدية التي احضرها. ربما تحتوي من الملابس ما يكفيه اسبوعين. وتساءلت عما إذا كان حقاً ينوي أن يبقى هنا كل هذه المدة.

نظرت إليه فرأت التصميم في عينيه السوداوين. يا له من احتمال فظيع. ولكن ما كان يقترحه كان أفظع وأكثر بعثاً على الإستياء. وحملقت فيه قائلة: «لقد أفسدت عطلتي تماماً.»

فقال مبدياً عطفاً ساخراً: «لا تدعي اليأس يتملكك، فكل هذا ينتهي بسرعة إذا أنت تعاونت معي، فتتخلصين مني للأبد. وأنا واثق من أن هذه هي النتيجة التي تريدينها.»

فكرت هي ساخرة بصمت، أن ليس ثمة حاجة إلى إثبات ذلك.»

«إسمعي، فكري في ذلك لحظة...»

جلس فجأة وهو يتابع قائلاً: «فكري في ذلك. إذا نحن نفذنا هذا، ففي أيام قليلة تنتهي محنتك.. فالثرثرات تنتشر بسرعة في هذه الانحاء. وأنا متأكد من ذلك. لا نحتاج سوى إلى الظهور معاً مرة أو اثنتين بين الناس، حتى تبدأ البرقيات في نقل الأخبار إلى كابري.»

بدا هذا مغرياً تقريباً، فقالت: «ولكن، كيف يمكن أن تذهب البرقيات إلى أمي بينما لا يعلم أحد بالدقة مكان إقامتها.»

«آه، هنا أنت مخطئة. هنالك شخص يعلم، وهو صديقتها السيدة روسي بكل تأكيد...»

«لماذا إذن لا تذهب إلى تلك الصديقة وتسألها؟ إن هذا أمر واضح.»

«إن السيدة روسي لن تتكلم معي، وعلى كل حال...»

«سأذهب أنا إذن.»

وفجأة، كانت راكيل تبتسم. ها قد وجدت، أخيراً، مخرجاً. «أخبرني أين تسكن، فأذهب إليها اسألها لأجلك.»

بادلها كلوديو الابتسام: «لا تقلقي، كان من الممكن أن أكون ارسلتك إليها... لولا شيء واحد، وهو أنها وزوجها يقومان بجولة سياحية حالياً في اسبانيا.»

تلاشت ابتسامة راكيل وهي تهتف: «اسبانيا؟» كان عليها أن تعلم أن الحل لن يكون بهذه السهولة. ثم أضافت: «في هذه الحالة، فهي لن تعلم عني وعنك قبل أن تعود، وهذا ينافي ما تدعيه أنت من أن القضية ستنتهي في يومين.»

«بل هذا ما سيحصل.» وقبل أن تحتج مرة أخرى، اسكتها بهزة من يده: «إن السيدة روسي هي إحدى النساء اللاتي يبقين على اتصال بما يجري. حتى وهي في العطلة. وقد أخبرتني والدتك بذلك ذات مرة. فهي تتصل بأصدقائها هاتفياً كل يوم وكذلك بجيرانها في فلورنسا، فقط لتتأكد من أن لا شيء يفوتها.»

نظر إلى راكيل بعينين ضيقتين: «وهكذا ترين أن الأخبار عني وعنك ستصل إلى السيدة روسي على الفور تقريباً. وعلى الفور، ستتصل بأمك هاتفياً.»

«فهمت.» نظرت اليه وقد اختلطت مشاعرها. نعم، إنه رجل مخادع، وقد خطط لهذا الأمر بكل تفاصيله، ولكن إذا كان ما يقوله صحيحاً، فستنجح خطته هذه.

سألته متشككة: «أتظن حقاً أن الأمر لن يستغرق سوى أيام معدودات؟»

ذلك أنها لن تتعاون معه على الإطلاق إذا كان سيستغرق اكثر.

فابتسم، قائلاً: «إنني أضمن ذلك. وستصبح محنتك قصيرة.»

لقد ابتدأت هذه تصبح أشبه بعرض زواج يحتاج إلى تفكير. ولكن كان هنالك، أولاً، نقاط تقتضي الايضاح.

فقد أخذت راكيل تنظر إليه بعينين ذكيتين: «وممَ ستتكون منه محنتي بالدقة؟»

«لا شيء مخيف. عشاءان شاعريان، رحلة إلى المسرح أو إلى حفلة، وذلك لنضمن رؤية الناس لنا. إنك طبعاً تعرفين قدر ما أعرف ما يفعله شخصان مغرمان ببعضهما البعض.»

«كلا، لا أعرف شيئاً كهذا. وقد تكون تلك اختباراتك أنت، ولكنها ليست اختباراتي أنا.»

كانت قد اندفعت بهذا القول دون تفكير ولكنها سرعان ما ندمت على ذلك بعد ان ادركت ما كان يعني هذا.

ذلك أن كلوديو أخذ ينظر إليها باهتمام، كما كانت توقعت بالضبط، ثم سألها: «ما هي القضية؟ ألم تقعي في الغرام قط؟»

فقلبت شفتيها وهي تفكر في أنها لم يحصل لها ذلك فقد كانت هي ومارك صديقين ودودين تجاه بعضهما البعض، ولكن لم يكن يجمعهما غرام قط، لا جنوني ولا غير ذلك. وفي الواقع؛ لم تفكر في مارك من تلك الناحية، الناحية الغرامية، على الإطلاق. لقد كانت مولعة به ولا شيء غير ذلك، وكان هذا هو السبب في أن عرضه الزواج عليها كان بمثابة صدمة تلقتها. وكذلك الصداقات التي كانت لها مع شبان قبل مارك كانت بريئة للغاية.

قالت بصوت عالٍ: «وهل هذا من شأنك؟»

فقال وفي صوته نبرة تسلية: «ربما هو من شأني فإذا كان هذا شيئاً جديداً بالنسبة إليك، ربما ستكونين بحاجة إلى تعليم.»

فقالت بحزم: «شكراً لك. لا أظنني بحاجة إلى أن اتعلم شيئاً.»

«أفهم من هذا أنه لم يكن لك علاقة بأحد.»

ترددت لحظة واحدة فقط، ثم ردت عليه بقولها: «حسناً، إن لديّ صديقاً، ولكن لا تخطىء الفهم.»

كان هذا كذباً، بالطبع، لأنها الآن دون صديق منذ

انتهت علاقتها بمارك بذلك الشكل المفاجىء المحزن وذلك منذ اسبوع. ولكن هذه الكذبة كانت ضرورية رغم كرهها للكذب. ذلك ان كلوديو لن يتركها وشأنها إذا اعتقد ان لديها صديقاً.

وكان هو يحدق إليها بإمعان، ثم قال: «هذا مدهش.»

«ولماذا يكون مدهشاً؟ أن يكون للفتاة صديق هو شيء طبيعي تقريباً.»

فابتسم قائلاً: «بل هو طبيعي تماماً، ربما دهشتي هي لأنه لم يحضر معك إلى هنا. هذا ما رأيته شيئاً غير طبيعي.»

سكت وعيناه مسمرتان على وجهها لحظة، وقد بدا في نظرته استحسان سافر: «لو كنت صديقتي، لما قبلت ان تبتعدي عني لحظة واحدة خصوصاً أن تذهبي لقضاء عطلة بمفردك.»

فقالت: «إذن، فأنا مسرورة لأنني لست صديقتك. فأنا لا أحب أن يتحكم بي أحد بهذا الشكل.»

لكن رغم أنها كانت تعني ما تقول، إلا أن قلبها كان يخفق لتحديقه إليها بكل هذه الوقاحة. ووجدت نفسها تتساءل عما حدث لها. ذلك لأنه لم يحدث قط من قبل أن كان لرجل مثله التأثير على أحاسيسها.

لكن كلوديو كان ينتظر جوابها. فاستجمعت شتات نفسها، وقالت: «لم يستطع مارك أن يأتي معي لأنه يعلّم في مدرسة صيفية معظم أيام العطلة.»

على كل حال كان أساس هذه القصة صحيحاً. لأن مارك كان فعلاً يعلم في مدرسة صيفية. «إذن فهو استاذ مدرسة مثلك؟»

«نعم، هو كذلك، وهو معلم جيد جداً.»

«من الواضح انه معلم مكرّس نفسه لمهنته أيضاً، وذلك بشكل غير عادي ما دام يفضل التعليم في مدرسة صيفية على أن يأتي معك إلى ايطاليا.»

قال هذا وهو يبتسم ابتسامة تدل على عدم اهتمامه بهذه العلاقة.

ساور راكيل شعور بالضيق، فقالت له بحدة: «إن لديه التزامات أخرى، وهذا كل شيء.» وتذكرت أن هذه كانت حالتهما غالباً في الماضي فقد كانا يمضيان العطلات منفصلين لأن واحداً منهما يكون مشغولاً. وأضافت تقول: «بجانب هذا، لم تكن بيننا تلك النوع من العلاقات التي تجعل الواحد منا لا يصبر على فراق الآخر.»

«لماذا؟ ألم يكن الواحد منكما يستمتع بصحبة الآخر؟»

«طبعاً كان الواحد منا يستمتع بصحبة الآخر. يا له من قول سخيف. لو لم نكن كذلك لما قامت بيننا هذه الصحبة.»

لكن هذه الصحبة لم تعد بينهما. فما كان بينهما لم يكن كافياً. على الأقل بالنسبة إلى راكيل، رغم أن مارك، كما يبدو، كانت لديه رغبة في الاستقرار مع ان راكيل كانت دوماً واضحة المشاعر. كلا، إذ أنه بالنسبة للزواج، كانت راكيل بحاجة إلى أكثر من هذه العلاقة البسيطة التي كانت تجمعها بمارك. فهي كما قالت كانت تستمتع بصحبته، ولكن هذه الصحبة لم تكن مصدر بهجة غير عادية بالنسبة إليها. فهي لم تشعر لحظة واحدة

بأنها لا تستطيع العيش من دونه. وكانت تعلم أن عليها أن تشعر بذلك قبل أن توافق على الزواج من أي شخص.

وانتبهت إلى أن كلوديو قد عاد إلى الحديث وكان يقول: «حسناً، إنها بشرى لنا. إذ يلائمنا جداً أن علاقتكما حرة سهلة، فهذا معناه أن بإمكاننا، أنا وأنت، أن ننزل إلى المدينة لنقوم بالإدعاء الذي اتفقنا عليه بالنسبة إلى وجود علاقة بيننا.»

فنظرت إليه بحدة: «ليس بهذه السرعة. فأنا، في الحقيقة، لم اوافق بعد على شيء.»

«كلا؟ ظننتك وافقت؟»

«كلا، لم اوافق، فأنا ما زلت أقلّب الأمر في ذهني.» نظرت إليه بعينين ضيقتين. «لأن هنالك بديلاً آخر لهذا، وهو أن اخرج أنا من الفيلا، هكذا بكل بساطة، وأجد لنفسي غرفة في فندق. ليس عليّ أن أعرّض نفسي لصحبتك على الاطلاق.»

«إنك لن تهربي مني بهذه السهولة.»

«أتعني انك ستلحق بي؟»

«نعم، وسأجعل حياتك تعيسة، إلى أن تتوسلي إلى أمك أن تعود بسرعة إلى سان كابانو.»

«ولكنني لا أعرف أين هي؟»

وتنهدت بيأس. فقد ابتدأت تشعر وكأنها تدور في دائرة مفرغة. وفي كل مرة تكمل الدائرة، تجد كلوديو أمامها. لم تكن تستطيع الهرب منه. مهما حاولت. وبجانب ذلك، كان تهديدها بالانتقال إلى السكن في الفندق، فكرة عقيمة. فهي

لا تستطيع تحمل نفقات الإقامة في الفندق. فالبديل الوحيد لذلك هو ان تعود إلى الوطن.

وانقبض قلبها لهذه الفكرة. فهي لا تريد العودة الى الوطن الآن. إنها تريد ان تبقى هنا لتستمتع بعطلة مريحة. عطلة مريحة تمضيها وحدها.

وتملكها الغضب فجأة، فقفزت واقفة ودست يديها في جيبي تنورتها، وهي تقول: «إنني ذاهبة إلى النزهة، فأرجوك أن لا تتبعني فأنا بحاجة إلى الانفراد بنفسي لكي أفكر.»

فعاد يجلس على مقعده بارتياح، وهو يجيبها قائلاً: «فكري كما تشائين، وعلى كل حال فأنا لا أفكر في الذهاب إلى أيّ مكان.»

أخذت راكيل تتمشى في الحديقة وهي تفكر ما الذي جعلني أصل إلى هذه الحال؟ كل ما كنت أريده هو قضاء عدة أسابيع من الهدوء والسلام، وبدلاً من ذلك وجدت نفسي في هذا الوضع المضطرب. ربما عليّ أن أعود إلى الوطن.

وفي نهاية الحديقة، تسلقت السور وأخذت تجيل نظراتها في كروم العنب والزيتون التي تحيط بالفيلا. كيف بإمكانها أن تترك كل هذا وهي لم تصل إلا منذ فترة وجيزة. حتى إنها لم تجد فرصة تزور فيها مدينة فلورنسا لتتفرج على كنوزها الفنية التي طالما تشوقت إلى رؤيتها. إن هذا سيكون خسارة لن تصفح عن نفسها لأجلها.

كلا، إنها ليست من الجبن بحيث ترحل. فقد أقبلت لقضاء

ثلاثة أسابيع، وهذا هو الوقت الذي ستمضيه هنا بالضبط.

ولكن، أليس هناك ما يستوجب القلق حقاً؟ وهل بإمكانها معالجة الوضع مع كلوديو؟ ليس عليها أن تحتمله مدة طويلة، بل لمدة أيام قليلة فقط.

ثم تتحرر منه بعد ذلك... وابتسمت لهذه الفكرة. ستصبح حرة في الاستمتاع ببقية عطلتها. فما أهمية التضحية بأيام معدودات؟

استقر رأيها أخيراً، فعادت إلى ناحية البحيرة. وعندما وصلت إلى المقعد الذي كان كلوديو متمدداً عليه رأته خالياً. وفكرت باستياء، تباً له، فقد وصل الى طلبه، وعليّ الآن أن أذهب للبحث عنه.

ولكن، لحسن الحظ، لم يكن عليها أن تجدّ في البحث، فقد كان في غرفة الجلوس، جاثماً على ذراع كرسي وهو يتحدث في الهاتف.

وقفت عند عتبة الباب وأخذت تنظر إليه، لا بد أنه كان ترك البحيرة بعد رحيلها مباشرة لأنه كان الآن مرتدياً ثيابه كاملة، فارتدى بنطلوناً أزرق وقميصاً أبيض، وشعره ما زال مبتلاً. لم يبد عليه أنه لاحظ حضورها، ولكنها كانت تعلم أنه لا بد قد رآها. فقد تذكرت جيداً كيف كان خدعها من قبل.

وهكذا اتكأت إلى الباب وأخذت تراقبه بشكل واضح. وعلى كل حال، لا يمكن ان يتهمها أحد باستراق السمع، ذلك لأنها لا تفهم شيئاً مما كان يقال.

ولكن ذلك لم يكن صحيحاً تماماً. فقد فهمت عدة كلمات من الغزل، ما جعلها واثقة من أنه كان يتحدث الى امرأة.

أخيراً، وضع السماعة من يده، ثم التفت إليها، مثبتاً ظنها أنه كان انتبه إلى وجودها منذ البداية.

قال لها: «إذن، فقد عدت من نزهتك؟ اتراك وصلت إلى قرار؟»

فتنفست راكيل بعمق، كان قد نهض واقفاً على قدميه. وفجأة، بدا لها بالغ الطول والسمرة والخطر. وشعرت بذعر مفاجيء، هل كان ما هي مقدمة على عملة، أمراً حكيماً؟

لكنها أخذت تعنف نفسها بصمت. لا تكوني جبانة، يا راكيل! ثم قالت تخاطبه: «نعم، لقد قررت.»

وسكتت لحظة لتتركه محتاراً، فترة. متأملة في مبلغ ما بدا عليه من فضول لمعرفة جوابها.

تقدم نحوها خطوة، ثم سألها: «ثم؟»

سمّرت عينيها العسليتين على وجهه لحظة، ثم قالت ببطء: «لقد قررت أن أوافقك على ذلك عدة أيام، ثم نرى ما يحدث.»

فأومأ قائلاً: «هذا حسن. أرى إذن ان نبدأ. سنتناول عشاءنا في مطعمي المفضل.»

فوجئت راكيل قليلاً وهي ترى نفسها تندفع بهذا الشكل. فقالت بلهجة خائفة: «ألا يمكن أن نبدأ غداً؟»

«ظننتك تريدين الانتهاء من هذا الأمر بسرعة.»

«نعم، أريد ذلك، ولكن...»

«إذن، فسنبدأ هذه الليلة، وكلما أسرعنا في ذلك، انتهينا من هذا الأمر بسرعة.» ولاحت على شفتيه شبه ابتسامة. «هذا إلى أنني ألغيت لتوّي موعداً كان لدي هذه الليلة.»

وعندما رفعت حاجبيها، تابع يقول: «أرى أن نخرج حوالي الثامنة، ولكننا سنلتقي في هذه الغرفة هنا عند السابعة والنصف فنتناول بعض المرطبات لكي يتحسن مزاجنا.» ثم مرّ بجانبها خارجاً من الغرفة وهو يقول: «سأصعد إلى غرفتي لأخرج ملابسي من الحقيبة.»

أخذت راكيل تحدق في أثره وهي ترمش بعينيها متسائلة من يظن نفسه؟ ثم ماذا يعني بقوله (لكي يتحسن مزاجنا) ربما هي مستعدة للقيام معه بهذه التمثيلية السخيفة، ولكنها حتماً، لا تريد أن تحسّن مزاجها معه.

ولكن ما غاظها اكثر، هي غطرسته البالغة إذ يتصرف قبل ان يعلم قرارها، فيلغي الموعد الذي كان لديه.

• • •

كانت الساعة حوالي السادسة والنصف، وكانت راكيل في غرفتها تستعد للاستحمام وغسل شعرها، عندما سمعت صوت هدير الدراجة النارية المألوف، على طريق البيت. فوضعت معطفها المنزلي حولها، ثم تقدمت نحو النافذة في الوقت المناسب لإلقاء نظرة على كلوديو وهو يخرج من خلال البوابة، ممتطياً الدراجة.

استغربت ذلك. لا بد أنه غيّر رأيه وقرر أن يلغي موعد العشاء دون أن يبلغها بذلك.

كان في هذا قمة سوء الأدب، بالطبع، ولكنها لا تستطيع أن تقول إنها آسفة. فإن قضاء السهرة بمفردها هو اكثر بهجة من قضائها معه.

لكنها استمرت في ما كانت تقوم به، فاغتسلت وكانت

تقف أمام خزانتها المفتوحة تفكر في ما عليها أن ترتدي، عندما سمعت صوت خطوات في الممر.

لقد عاد وانقبض قلبها.

وبعد ذلك بلحظة، سمعت طرقاً على بابها اثناء مروره، وهو يقول: «أرجو أن تكوني على وشك الانتهاء. الساعة الآن السابعة والثلث، وأنا انتظر نزولك إلى غرفة الجلوس بعد عشر دقائق.» ثم تابع سيره، وبعد لحظة سمعت صوت باب غرفته يغلق.

تباً له... أهكذا إذن سيمضيان السهرة...؟ هو يقرع الباب بأصابعه فتطيع؟ وحملقت في خزانة ثيابها. حسناً. هو مخطىء إذا كان هذا ما يظن. فهو مخطىء... إن كونها رضيت بالسير معه في هذه المؤامرة الصغيرة، لا يعني أنها ستنفذ كل ما يقول.

أخذت تحدق في صفين من الملابس المعلقة، تختار ما ترتديه. (ارتدي شيئاً جميلاً)... هذا ما قاله لها بلهجته المتآمرة تلك، ما جعلها تفكر في ارتداء بنطلون قديم وقميص قطن... ولكن هذه فكرة حمقاء. فهذه أول سهرة لها في فلورنسا ولهذا تريد ان ترتدي ثوباً جميلاً احتفالاً بهذه المناسبة رغم غيظها من أن يظنها ترتدي ذلك لأجله.

لتدعه يخادع نفسه، فهذه مشكلته. وأخرجت ثوب سهرة طويلاً ذا لون أرجواني داكن كانت تعلم أنه يبدو جميلاً جداً مع لون شعرها الأحمر وبشرتها البيضاء. وستضع في أذنيها قرطين لونهما ارجواني كذلك.

بعد عشر دقائق كانت مستعدة للنزول إلى الطابق

الأرضي، ولكنها تعمدت تضييع بضع دقائق في تنظيم غرفتها والنظر إلى نفسها في المرآة. كانت دقيقة المواعيد، عادة، ولكن تباً لها إذا كانت ستمتثل لأمره وتنزل في السابعة والنصف تماماً كما أمرها.

عندما دخلت أخيراً غرفة الجلوس، كانت الساعة تجاوزت السابعة والنصف بست دقائق.

ابتدأت تقول: «آسفة لجعلك تنتظرني...» ولكنها سرعان ما سكتت وقد كانت نسيت تماماً ما كانت قد أعدته من كلام وهي ترى كلوديو واقفاً بجانب النافذة قرب الستيريو متفحصاً مجموعة أمها ودينو من أشرطة التسجيل كان منظره مذهلاً، ما جعل أنفاسها تحتبس في حلقها.

كان يرتدي بذلة بيضاء رائعة التفصيل وقميصاً ذا لون أزرق باهت مفتوحاً عند العنق. لم يسبق لها قط أن رأت رجلاً في مثل أناقته وجماله، من قبل.

كان يبدو رائعاً وألوان الشفق تنعكس على بشرته السمراء وشعره الفاحم السواد، محددة تفاصيل جسمه القوي وعرض كتفيه.

إلتفت ينظر إليها... وبدا أن تأثير مظهرها عليه كان نفس تأثير مظهره عليها.

فقد ابتسم قائلاً: «آيدا، الحمراء الشعر، ذات الثوب الأرجواني.» قال ذلك وعاد إلى الرف حيث أشرطة التسجيل وبينها شريط موسيقى اوبرا آيدا لفيردى الذي كان يتفحصه، وهو يتابع قائلاً: «حسناً، إذا كانت آيدا تشبهك، فلا عجب أن فضّل رادامز حبيبها، الموت على أن يفقدها.»

ولم تكن راكيل تعرف مسرحية آيدا، وحاولت ألا تظهر اهتمامها بمديحه هذا، رغم سرورها به.

حدثت نفسها بأن ما سرها هو غرابة هذا المديح، ليس إلا. ذلك انه لم يحدث من قبل أن شبهها أحد بإحدى بطلات الأوبرا. ولكنها في نفس الوقت، ذكرت نفسها بأن من الجنون أن تأخذ مديحه هذا مأخذ الجد.

فهذا كلوديو ديلا نجيلو، غاوي النساء، هو من تتعامل معه الآن. فهو ربما يمدح بهذه الكلمات كل امرأة يخرج معها إلى العشاء.

«أتريدين كوباً من المرطبات؟ لقد سبق وتناولت أنا كوباً قبل حضورك. إن هذا يلطف مزاجك.»

«كلا، شكراً. لا أريد تلطيف مزاجي.»

كانت قد توقعت من كلوديو أن يعنفها لتأخرها في النزول، وعندما لم يفعل شعرت بخطئها. وكان هذا من أسباب رفضها ما عرضه عليها من شراب. من باب العناد فقط لكي تغيظه.

لكن عنادها هذا لم يفعل سوى أن أثار تسليته فقال باسماً: «لابأس، ما دمت جاهزة، فلنذهب إذن. إن لديّ أفكاراً كثيرة لتلطيف مزاجك.»

«أحقاً؟» حدثته لهجتها بأنه يخدع نفسه وألقت عليه نظرة متشككة باردة من عينيها العسليتين، وقالت بلهجة مناقضة تماماً: «إنني بغاية اللهفة لكي أعرف طبيعة أفكارك هذه.»

خرج من الغرفة قائلاً: «اتبعيني إذن.»

وفي اللحظة التالية، كانا يسيران على الحصى الذي يمتد على طريق المنزل الفرعي.

كان ذلك عندما تلقت راكيل أول مفاجأة لها، هذا المساء. ذلك أنها رأت في مكان دراجته النارية سيارة فضية إنسيابية ماركة مازيراتي.

وضحك هو للنظرة الذاهلة التي بدت على وجهها: «لا أظنك ظننت حقاً إنني سآخذك إلى العشاء خلفي على دراجة نارية.» وفتح لها باب السيارة لكي تصعد. وعندما اتخذت جلستها في داخل السيارة المعطرة المرفهة، غمز لها بعينه قائلاً: «أحسن الأشياء لفتاتي آيدا حمراء الشعر.»

إذن، هذا هو السبب في خروجه هذا المساء، عندما أخذت تتساءل عما إذا كان قد هرب منها. كانت تفكر في ذلك عندما صعد إلى جانبها خلف عجلة القيادة. لقد كان ذهب إلى منزله لكي يأتي بالسيارة بدلاً من الدراجة البخارية.

ووجدت نفسها فجأة تتساءل أين تراه يسكن وما شكل بيته؟ ثم، بالمناسبة، كم يملك من وسائل المواصلات؟ ولكنها سرعان ما نبذت هذه الأفكار، فهي لا تريد أن تعرف عنه شيئاً.

«إلى أين ستأخذني؟»

قالت له ذلك وهي تنظر إليه، بينما كانت السيارة تنساب خارجة من طريق المنزل الفرعي. كانت ترجو أن لا يكون ذلك إلى مكان بعيد، إذ أنها لم تكن تريد أن تبقى بمفردها معه في هذه السيارة فقد كان وجوده بقربها يوتّر اعصابها. وكانت تبذل جهداً كبيراً في المحافظة على اتزانها ومداومة النظر بثبات من خلال الزجاج.

«إنني سآخذك إلى أحد المطاعم المفضلة لديّ ولكنني أخبّىء لك شيئاً خاصاً.»

فلوت راكيل شفتيها. لا بد أن هذا ما كان يعني به أنه سيلطف من مزاجها. ولم تشأ أن تسأله ايضاح كلامه. فهو سيكتشف في الوقت المناسب أنه كان يضيّع وقته.

لم يستغرق وصولهما إلى المدينة سوى ربع ساعة. وعندما مرا بحدائق فسيحة، قال لها: «هذه هي حدائق بوبولي. لا تنسي أن تزوريها أثناء وجودك هنا.»

«هذا ما أنويه.»

فقد كانت هذه الحدائق واحدة من أشياء عديدة سجلتها في قائمتها، والتي كانت تنوي أن تبدأ بها زياراتها غداً.

وإذا بهما يصعدان في جادة فسيحة تحدّها من جانبيها أعمدة النور. ثم، بعد عدة دقائق، دخلا ساحة فسيحة، فقال لها: «هذه ساحة مايكل انجلو.» وشهقت عندما أوقف السيارة في وسط الساحة وسط نصف دزينة من سيارات أخرى. وإذ نسيت لحظة تصنعها عدم المبالاة والتأثر، مالت إلى الأمام وهي تحملق عجباً في الرسم الشهير الذي يحتل الساحة.

شهقت قائلة: «إذن فهذا هو رسم مايكل انجلو.»

«نعم، هذا صحيح. اتحبين أن ننزل لحظة للتفرج على المنظر.»

كانت راكيل قد سبق ومدت يدها إلى مقبض الباب، شاعرة بأنها تريد أن تقول حاول ان تمنعني.

وكان المنظر مماثلاً تماماً في كل تفاصيله لما تصفها كتب السياحة التي قرأتها.

كان الرسم قائماً عالياً فوق التلال جنوب شرق المدينة. ودرابزين عريض يحيط به.

ما أن اتجهت راكيل إلى الدرابزين، حيث كان هناك عدة مجموعات صغيرة من الناس، حتى اتكأت عليه، مثلهم. رأت المدينة كلها منتشرة تحتها يخترقها نهر آرنو.

صدرت عنها آهة عجب: «لم أر قط شيئاً بهذا الجمال من قبل.»

وكان كلوديو قد جاء يقف بجانبها، فقال لها وهو يشير بيده إلى بناء رائع الفخامة: «ذلك هو مبنى دوومو وذلك البناء المستطيل القائم أمامه مباشرة هو القصر القديم.»

«هذا شيء لا يصدّق. لا بد أن ذاك هو الجسر القديم.» وأشارت إلى الجسر الشهير الذي أقيم في القرن الرابع عشر بكل ما حوله من صائغي الذهبي ومتاجر المجوهرات، وهي تقول: «هذا رائع. لا أستطيع أن اصدق عيني.»

«أنا مسرور لأنه اعجبك.»

«أعجبني فقط؟ إنني أراه اسطورة!» وألقت نظرة على رسم مايكل أنجلو وهي تتابع: «إنه رجل محظوظ إذ يشرف على أجمل منظر في العالم.»

فقال لها: «لا بد أنك تدركين أن هذا ليس رسم مايكل أنجلو الحقيقي وانما هو نسخة عنه. ذلك ان الرسم الحقيقي في الجامعة.»

كانت راكيل قد قرأت ذلك في دليل السياحة الذي لديها. فأومأت تقول: «نعم، أعرف هذا. وفي نيتي أن أذهب لأرى الرسم الأصلي أثناء وجودي هنا.» ثم تنهدت وهي تستدير لتنظر إلى المشهد المحيّر بجماله تحتها: «ما أكثر الأمكنة التي تستحق الرؤية. لن اتمكن ابداً من رؤيتها جميعاً خلال ثلاثة أسابيع.»

«هذا صحيح. فأنا نفسي لم استطع رؤية كل ما في فلورنسا بعد. رغم انني عشت هنا طوال حياتي.» وابتسم.

«فأيّ أمل لي أنا، إذن؟»

وارتسمت على شفتيها ابتسامة خفيفة وهي تقول له هذا. لكن الاحساس القديم عاد اليها عندما التقت عيناها بعينيه، والذي كان عبارة عن مزيج من البهجة والسعادة والانجذاب، وكان من القوة بحيث جعل قلبها يخفق. وساورها الذهول لحظة.

ثم حولت عينيها عنه، محدثة نفسها بأنها مجنونة دون شك. وأنها تسمح لسحر هذه المدينة بأن يدخل رأسها.

وفجأة، تملكها خوف غريب، فأخذت في الابتعاد عنه. ما كان لها أن تقف قريبة منه إلى هذا الحد. ولكنه ما زال شبه ملتصق بها لم يتزحزح، وهو يقول: «من يدري؟ ربما كان هناك من يراقبنا هذه اللحظة.»

واقترب برأسه هامساً، وكأنه يغازلها: «تذكري أننا نقوم بدور الحبيبين.»

«ولكن لا يوجد هنا أحد يعرف أمي أو زوجها.»

«بل قد يكون هناك. فهذا مكان مفضل لنزهات الفلورنسيين، فليس السواح فقط من يأتي إلى هنا للاستمتاع بهذه المناظر الرائعة. ولهذا سيكون من الجنون تضييع هذه الفرصة السانحة لنشر هذه الشائعة.»

وإذ وقفت راكيل جامدة في مكانها لا تستطيع الحراك، أدركت أن جمودها هذا ليس ناتجاً عن رفضه له، وإنما عن تدفق المشاعر والأحاسيس التي تملكتها.

شعرت بأنها لا تستطيع التنفس، وقلبها يكاد يقفز من

مكانه. ولكن الأغرب من هذا كله أن القرب منه أشعرها ببهجة عارمة لم تشعر بمثلها في حياتها.

وما لبث أن شدّها كلوديو بيده قائلاً: «هيا بنا الآن إلى المطعم، فمائدتنا في انتظارنا.»

قادها نحو سيارته الواقفة في الانتظار. وكانت هي تدرك أنها تسير وكأنها في حلم. ومع أنها كانت تكافح بكل قوتها لتشعر بالأرض تحت قدميها، إلا أن الحقيقة هي أنها كانت تشعر بنفسها تهيم على علوّ ستة اقدام في الهواء.

www.elromancia.com

الفصل الرابع

عندما وصلا إلى المطعم كانت راكيل قد سيطرت على حواسها.

ذلك انها أثناء الرحلة القصيرة في السيارة، قد حدثت نفسها بشكل جيد، فهي تسير على أرض خطرة، ذلك ان عليها ان لا تفسد بأي شكل، سحر فلورنسا الحقيقي بسحر كلوديو الزائف.

كان المطعم الذي اخذها إليه يقع في شارع جانبي ضيق قريب من النهر.

قال لها وهو يشير إليها بالدخول أمامه: «انه مكان محبوب جداً، ولا بد ان يكون فيه من يعرفنا.»

فدخلت راكيل وهي تلقي عليه نظرة عابسة: «فلنأمل في هذا، وفي ان الأخبار ستصل إلى كابري بسرعة.»

«في هذه الحالة كوني اكثر إيجابية معي مما كنت عليه في ساحة مايكل انجلو.»

تحدث كلوديو بسرعة إلى النادل، ثم عاد يلتفت إلى راكيل: «إذا انت تصرفت بهذا الشكل سيظن من يرانا بأنني اتناول العشاء مع شقيقتي، وليس مع حبيبتي.»

يا له من متغطرس، هل يتوقع منها ان تبقى إلى جانبه لوقت طويل نظرت إلى رأسه من الخلف، بحقد، بينما كان النادل يقودهما خلال الموائد التي تعج بالزبائن، لكنها ما لبثت ان اعترفت لنفسها بأن الحق معه، فقد كانت تبدو

وكأنها استحالت إلى لوح من الخشب، كانت في الواقع تتصرف بشكل غريب.

كان المطعم أوسع مما كان يبدو من الشارع، وقد بدا وكأن كل مائدة فيه مشغولة، ولكن كانت هناك مائدة خالية في الخلف، شبه متوارية في احدى الزوايا، وهي التي كان النادل يقودهما إليها الآن، وعندما ناولهما قائمة الطعام وانسحب صامتاً، ألقت على كلوديو نظرة ساخرة وهي تقول: «حسناً، ليست هذه مهارة منك، كان عليك ان تحجز مسبقاً مائدة ظاهرة للزبائن، فلا احد سيرانا الآن.»

فغاظها منه ان كان جوابه هو ابتسامة مغرورة وهو يقول: «يبدو انك لست معتادة على إحدى القواعد الانسانية الأساسية، وهي أنه كلما حاول الشخص ان يخفي نفسه، زاد من لفت الأنظار إليه، وفي هذه اللحظة كل شخص في المطعم الآن يتساءل عمن يكون هذا الرجل والمرأة اللذان ينشدان مائدة منعزلة إلى هذا الحد، صدقيني إن كل عين الآن تنظر إلينا.»

ابتسم لها وهو يضيف قائلاً بخبث: «وقد زاد بهم الفضول إلى حد لا يصدق والآن حاولي ان تظهري وكأنك تستمتعين بالجلوس معي.»

«وكيف يمكنني ذلك؟»

فهز رأسه: «أرى ان هذا الأمر سيكون صعباً معك، فأنت حقاً ليس لديك فكرة عن الغرام وكيف تكون مظاهره.»

«بل لدي، ولكنني فقط لا اشعر بشيء نحوك.» لكنها بينها وبين نفسها، كانت تعلم ان الحق معه. فالغرام الحقيقي لم يكن موجوداً قط في حياتها، ووجدت نفسها تنظر إلى

كلوديو وهي تفكر في ان ذلك في حياته هو، وتحرك شيء في داخلها، شيء أقرب إلى الكآبة، ما جعلها تشعر بالسرور وهي ترى النادل قادماً ليأخذ أوامرهما.

نظر كلوديو إلى راكيل بابتسامة دافئة وهو يقول: «أريده الآن هو طبق كبير شهي من السمك، ألم تقرري انت بعد ما تريدين، يا راكيل؟»

فأرغمت نفسها على رد الابتسامة له، شاعرة بأن هذه المواقف المصطنعة ليست من السهولة التي كانت تتصورها.

اخذت تتفحص قائمة الطعام وقد ساد العبوس ملامحها خصيصاً لكي يرى احمرار الخجل على وجهها، وزاد في غيظ راكيل حدوث هذا، بالفعل وهي تشعر بانقباض في معدتها. مع انه كان في نيتها استعمال كلمات الاعزاز كيفما اتفق مثل يا عزيزي وما أشبه، إلا ان امثال هذه الكلمات التصقت في حلقها، وحدثت نفسها بغضب بأنها ستفسد كل شيء إذ لم تكن حذرة، فالطريقة التي كانت تمثل فيها، لا تدع مجالا لأي شخص بأن يظنها شقيقته.

فقال لها: «جربي الطبق الذي طلبته لنفسي.» كانت عيناه وهو يتحدث إليها كأنهما تعانقانها عبر المائدة، حقاً انه ممثل ممتاز.

اجابته: «لا بأس.» لكن النظرة في عينيها كانت جافة بشكل محزن، ولم تدهش حين قال كلوديو للنادل: «وكذلك إبريق كبير من العصير حالاً من فضلك.»

ربما كان يرجو ان حديثاً شيقاً بينهما امام كوب من المرطبات المنعشة قد يخفف من توتر الجو بينهما، قدم إليها كوباً ثم سكب آخر لنفسه وهو يميل نحوها عبر

المائدة هامساً بلهجة شاعرية وعيناه تلتهمانها: «فلنأمل بأن يبقى الحب مشتعلاً بيننا دوماً كما هو هذه الليلة.»

فحاولت جهدها بسط أسارير وجهها وهي ترشف العصير.

جلس مستنداً إلى الخلف وهو يقول: «أظن إذا حاول كل منا ان يعرف الآخر بشكل افضل هي فكرة حسنة، بعض التفاصيل فقط عن حياة كل منا الخاصة، مثل تلك التي يتبادلها الزوجان على الوسادة.»

لم يكن ثمة ضرورة للجملة الأخيرة، ولكن كلوديو قالها خصيصاً لكي يرى احمرار الخجل على وجهها، وزاد في غيظ راكيل حدوث هذا، بالفعل وهي تشعر بانقباض في معدتها.

وابتسم كلوديو: «هذا في حالة وجدنا نفسينا معاً، فنحن لا نريد ان نبدو غريبين تماماً.»

«حسناً، ما الذي تريد معرفته؟»

لقد كانت رأت ان الحديث على الأقل يبدو وكأنه يتحول ليصبح طبيعياً عادياً، رغم علمها ان كلوديو يمكنه ان يحول أي موضوع عادي إلى حقل ألغام.

«حدثيني عن مكان سكنك، عن مهنتك في التعليم، ما هي المادة التي تدرسينها مثلاً؟»

«انني اعلم اللغة الانكليزية في المدرسة الثانوية في بريستول، وهي مدينة في جنوب غربي انكلترا حيث عشت طوال حياتي، تلاميذي الذين اعلمهم هم في الرابعة عشرة الخامسة عشرة على الأكثر.»

«هل تحبين مهنتك؟»

«أحبها جداً، فان اصبح معلمة هي أمنيتي منذ الطفولة.»

«لقد كان والدك معلماً، إذا لم اكن مخطئاً.»

«نعم، كان يعلم العلوم الفيزيائية، لقد كان رجلاً نابغة ولكنني لا اكاد اعرفه، فقد مات وأنا في الثامنة.»

«لا بد ان الأمر كان صعباً... أعني ان تعيشي دون والد.»

فدهشت وهي ترى في عينيه عطفاً صادقاً، أتراه يحتوي على مشاعر انسانية، حقاً؟

فقالت: «اظن الأمر كان اكثر صعوبة بالنسبة إلى والدتي، فقد كان عليها ان تنشىء وحدها ثلاث بنات وبنقود قليلة جداً، ولم يكن في هذا مبعث راحة لها.

لم يعلق كلوديو بشيء، ولكن العطف في عينيه كان قد تلاشى لدى تطرق الموضوع إلى والدتها، وبدا للحظة واحدة، لمعة غضب في عينيه، كانت كراهيته لدينو ووالدتها عميقة في نفسه، كما يبدو.

وتساءلت راكيل عما يمكن ان يكون السبب في هذا، وعما يمكن ان تكون جذوره، هل يدين له دينو حقاً بمبلغ كبير، كما يقول؟ ووجدت هذا صعباً تصديقه، خصوصاً وهي تعرف والدتها، فهي دوماً كانت تتوخى براءة الذمة في المسائل المالية حتى في الأيام الماضية، حين كانت نقودها قليلة للغاية، كانت حريصة على ان توفي فواتيرها إلى آخر قرش.

وشعرت بالرغبة في ملاحقة هذا الموضوع، وذلك حين احضر لهما النادل الطعام، ولكنها مالبثت ان غيرت رأيها أو لم يكن الوقت مناسباً ولا المكان، وهكذا سألته: «هل دوماً كنت تحب أن تكون مهندساً؟»

اومأ برأسه قائلاً: «كلا، في الواقع انك لن تصدقيني إذا قلت لك انني يوماً ما، كنت أريد ان اكون لاعب كرة قدم

محترفاً، حتى انني التحقت للتجربة بالنادي الرياضي المحلي.»

وابتسم: «لقد تملك الرعب البالغ والديّ، فقد كانا يأملان في أن اصبح محامياً، مثل والدي وشقيقي وشقيقتي، فالمحاماة هي مهنة الأسرة المتوارثة، ولكن الارتياح مالبث ان تملكهما عندما رفضني النادي قائلاً انني صغير السن، وان عليّ ان أعود لتجربة أخرى في السنة المقبلة، ولكنني لم أعد مطلقاً لأنني كنت قررت ان اصبح مهندساً، ولشدة فرح والديّ بتركي فكرة الرياضة، لم يهتما باقناعي بأن اصبح محامياً، وإنما قالا لي ان بإمكاني ان اصبح مهندساً إذا شئت.»

ضحك وهو ينهي قصته، فضحكت هي معه، وقد تملكها سرور مفاجىء للنظر إليه عبر المائدة، وهو يضحك بسهولة، وكان هذا يجعل الجو مشرقاً حولهما، وبالرغم من كل مزاياه السيئة، لم يكن يبدو عليه انه يأخذ الأمور بجدية، وكانت هذه ميزة فيه أعجبتها كثيراً.

ولكن في هذه اللحظة تقدمت منهما امرأة جذابة ترتدي ثوباً ضيقاً أحمر اللون.

«كلوديو! انه انت إذن من يختبىء هناك في الزاوية.»

وقبل ان يتمكن كلوديو من الوقوف ليحييها، ألقت المرأة نفسها عليه تحييه.

وجدت راكيل نفسها تراقب هذا المشهد باهتمام وكذلك شيء من الحذر.

استدارت المرأة إلى راكيل وهي تخاطب كلوديو قائلة: «لا تقف، ولكن لماذا لا تعرفني إلى مرافقتك الجميلة؟ فنحن

جميعاً بغاية اللهفة لكي نعرف من هي.» وألقت على راكيل نظرة كحد السكين.

ابتدأ كلوديو العمل على الفور، فقال بلهجة من يهيم حباً: «انها راكيل.» ومال نحو راكيل قائلاً: «راكيل، حبيبتي، هذه كيرستين.»

فنظرت اليه محملقة... ما أمهره بالتمثيل، والتفتت نحو المرأة الشابة والتي كانت الآن تضع يدها على كتفه، وفجأة ابتدأت هي أيضاً تمثل.

«مرحباً، يا كيرستين، ما اجمل التعرف إلى إحدى صديقات كلوديو.» وعندما لفظت اسمه ألقت عليه نظرة كنظراته، تفيض حباً، وتملكها الزهو، لقد تصرفت بمهارة حقيقية؟ هي أيضاً.

«أراك انكليزية، هل انت هنا في عطلة؟» كانت كيرستين ماتزال تجد صعوبة في السيطرة على الحدة في نظراتها، وقد بدا عليها وكأنها تتمنى لو ان راكيل ستقول لها انها راحلة غداً.

ابتسمت راكيل وعادت تنظر إلى كلوديو قائلة: «لقد جئت أصلاً إلى هنا لقضاء عطلة، ولكن من يعلم إلى متى سأبقى هنا الآن؟ الآن بعد ان تعرفت إلى كلوديو؟» وقالت الجملة الأخيرة بلهجة حالمة.

فقال كلوديو بلهجة هي مزيج من الحب والألم: «إياك ان تتحدثي عن الرحيل، وإلا فسألحق بك.» ونظر إلى كيرستين يقول: «ومن يلومني؟ أليست هي رائعة؟»

ظنت راكيل لحظة بأن وجه كيرستين قد استحال اخضر اللون، وذهلت لما سببته هذه الكلمات لها من استياء، عند

ذلك قال كلوديو: «ولكن لا بد لي من القول انك انت أيضاً تبدين رائعة هذه الليلة، فأنا دوماً كنت اقول ان اللون الأحمر يلائمك تماماً.»

أشرق وجه كيرستين على الفور: «شكراً يا كلوديو، كلامك هذا من حسن الذوق واللطف.»

عندما عادت تنظر إلى راكيل، جاهدت هذه لكي تحتفظ بالابتسامة الحالمة على شفتيها ولو قليلاً، وكانت تفكر باستياء بأن ما كان له ان يقول للمرأة مثل هذا الكلام، بينما المفروض ان تكون عيناه هذه الليلة موجهة إليها وحدها، واخذت تذكر نفسها وهي تحاول استعادة توازنها، بأن هذا لا يعني انها تهتم به حقيقة، وإنما لاتريده ان يفسد النجاح البسيط الذي حازاه حتى الآن، ولكن لم يحدث أي ضرر. تركتهما كيرستين في النهاية على كره منها، وهي تقول: «الأفضل ان اعود، فأصدقائي في انتظاري.» ونظرت إلى مائدة مزدحمة في الخلف، «سأراك فيما بعد يا كلوديو.» وغمزت بعينها.

عندما توارت عنهما، استدار كلوديو إلى راكيل قائلاً وهو يبتسم: «انك تستحقين الأوسكار لتمثيلك الجيد هذا، ان بإمكانك إذن ان تقومي بذلك عند المحاولة.»

«بإمكاني طبعاً. من اخبرك ان هذا ليس بإمكاني؟»

ولكن الحقيقة، كما اخذت راكيل تفكر، انها لم تحاول ان تجرب، لقد تملكتها الدهشة وهي ترى ان تمثيلها كان يبدو طبيعياً تماماً، وانه لم يكلفها أي جهد، وابتسمت لنفسها، لقد استمتعت حقاً بتلك المسرحية الصغيرة.

ولكن كان هناك سؤال عليها ان تسأله: «أليست كيرستين هي صاحبة الموعد الذي ألغيته انت لكي تخرج معي؟»

فهز كلوديو رأسه: «كلا، ليست هي، ذلك انه لم يكن لدينا انا وكيرستين، أية خطة لهذه الليلة.»

لم يكن لديهما خطة لهذه الليلة؟ ولسبب ما، ضايقها جوابه هذا، ووجدت نفسها تقول بشيء من الجمود: «إذن فهي واحدة من صديقاتك؟»

«اتعنين واحدة من جيش الصديقات الذي تحب ان تتحدث والدتك عنه؟» ابتسم وهو يهز كتفيه دون ان ينكره. «انا وكيرستين معروفان بأننا دوماً نمضي أوقاتنا معاً.»

كان هذا واضحاً، وتذكرت راكيل الإلفة التي كانت كيرستين تتحدث فيها إلى كلوديو وهي تضع يدها على كتفه، ثم أبقتها هناك، مازاد في ضيقها. ثم اخيراً تلك الغمزة له من عينيها، ما هي الرسالة السرية التي كانت خلف تلك الغمزة بالضبط؟

وما لبثت ان توقفت عن مثل هذه الأفكار ما الذي حدث لها؟ ان ما بينها وبين كلوديو لا يعدو التظاهر بالحب، وهي لا تهتم مثقال ذرة بما يحدث بينه وبين كيرستين، أتراها جنت لكي تتصرف بهذا الشكل؟

أسرعت تتمالك نفسها عندما قال لها كلوديو وهو يومىء برأسه ناحية مائدة كيرستين واصدقائها: «ان واحدة من صديقات كيرستين هناك مشهورة بالثرثرة ونشر الشائعات، وهو خبر طيب بالنسبة إلينا.» ابتسم لها وهو يتابع: «ان نصف من في المطعم الآن ربما اصبحوا يعرفونك، ويعرفون من أين انت قادمة، وإذا كان الخط في خدمتنا، ما ان يحل الغد حتى يعرف بذلك نصف سكان فلورنسا.»

«وهذا يعني ان خطوط الهاتف سرعان ما تحمل هذا

الخبر إلى السيدة روسي، ومنها إلى والدتك في كابري.»

بعد ذلك بساعتين بعد ان احتسيا القهوة واستعدا للخروج، اخذت تفكر في انه إذا لم تكن هذه هي القضية، فهي لن تكون نتيجة نقص في جهودهما، فقد كانا يضحكان معاً بطريقة المحبين وهما ينظران في عيني بعضهما البعض، لقد كان ذلك حقاً جهداً رائعاً.

ولكن عندما استقلا السيارة وانطلقا بها اخذت راكيل تتساءل عما إذا كان كلوديو لا يأخذ الأمر جدياً اكثر من اللازم، فهو مازال يتصرّف معها وكأنها حبيبته، خصوصاً عندما سار معها في الشارع في طريقهما إلى السيارة، لا بأس، ربما كان هناك من يراهما، ولهذا لم تحتج أو تبتعد عنه، وبادلته ما اظهره نحوها من عواطف متخيلة انهما يؤديان على الشاشة دور حبيبين حقيقيين، لقد بدا تمثيلهما حقيقياً انما ليس اكثر من حقيقة عنقود من العنب اللاستيكي.

عندما ابتعد عنها أخيراً، وجدت قلبها يخفق بعنف، ولكنها مع ذلك كانت واثقة من أن تصرفاتها لم تكن صادرة عن عاطفة حقيقية.

نظرت حولها شبه باسمة، ثم سألته وهي تنظر حولها: «اتراك شاهدت احداً تعرفه؟ هل كان هناك من يراقبنا؟»

ابتسم لها وقال وهو يزيح متمهلاً خصلة من شعرها عن جبهتها: «كلا، في الحقيقة لم يكن هناك من يرانا، ان تصرفي هذا معك ناتج فقط عن رغبتي، وقد استمتعت بذلك، هل انت أيضاً كذلك؟»

فحملقت فيه ساخطة: «ماذا تعني؟ ان هذا كان ناتجاً عن رغبتك؟ لم يكن هذا هو الإتفاق بيننا، وما كان لك ان تقوم

بذلك، ثم كلا فأنا لا استمتع بذلك على الاطلاق.» قالت جملتها الأخيرة وهي تنظر إليه ببرودة، وكانا قد وصلا إلى السيارة، ففتح لها كلوديو الباب وقال لها وهو يبتسم بخبث: «هذا مؤسف، فقد كنت اظننا استمتعنا نحن الاثنين.»

انه يظن نفسه ماهراً، ولكن تباً لها اذا سمحت له بمثل هذه التصرفات بعد الآن. وعندما صعد إلى مقعد القيادة، متجهاً بالسيارة إلى سان كوبانو انفجرت به تقول: «اذا كنت ستستمر في استعمال الحرية معي، يمكنك ان تعتبر اتفاقنا هذا ملغياً من جانبي، وهكذا أريد كلمة منك بأن لا شيء مثل هذا سيحدث مرة أخرى.»

وهكذا أمضيا طريق العودة إلى البيت بصمت تام، على الأقل من ناحية راكيل، فقد بدا على كلوديو الاستمتاع بسماع الموسيقى من راديو السيارة، حتى انه اخذ يهمهم متابعاً لها من وقت لآخر، كان واضحاً انه لم يهتم ذرة واحدة بمقدار غضبها، وكان من المؤكد انه لم يكن يشعر بأي ندم.

حال وصولهما إلى الفيلا، خرجت راكيل بسرعة من السيارة، ثم سارت بعيداً عنه وهما متجهان إلى الباب، ذلك انها لم تكن تثق به رغم وعده لها.

عندما فتح الباب اخذت تفكر في انها ستمضي معه الليل وحدها معه، فماذا يحصل لو انه فكر في ان يستغل ذلك؟

فقالت له: «أرجو ان تكون قد سمعت ما كنت قلته لك في السيارة.» وإذ التفت إليها باسماً، كانت هي تحاول ان تتذكر ما إذا كان في باب غرفتها مفتاح محدثة نفسها بأنه إذا لم يكن ذلك فستضع كرسياً وراء الباب أو حتى ان بإمكانها ان

تجر الخزانة فتجعل منها ذلك الحاجز. ولكن قبل ان يجيبها كلوديو، إذا بجرس الهاتف يرن.

اندفعت راكيل قائلة انها ستجيب الهاتف، لا بد انها والدتها، وهي ستطلب منها العودة حالاً وتخليصها من هذا الوضع، فمن يدري ما يمكن ان يحدث؟

لكنها عندما رفعت السماعة، لم تجد والدتها هي التي تتحدث.

لقد اجابها صوت امرأة باللغة الإيطالية: «آلو...» وإذ لم تفهم راكيل ما كانت تقوله المرأة، إلا ان الكلمة الوحيدة التي فهمتها جيداً هي تكرار اسم كلوديو ناولته السماعة وهي تقول عابسة: «انها لك، هناك امرأة تريد ان تكلمك.»

ثم حدثت نفسها بأنها عرفت الآن معنى تلك الغمزة، فقد كانت واثقة تقريباً من ان المتكلمة هي كيرستين.

حدثت نفسها وهي تصعد إلى غرفة نومها، حسناً، اتمنى لها حظاً سعيداً، فإذا أرادت كيرستين ان تركض خلفه، فهذا شأنها الأحمق، ولكن الوقاحة بلغت من كلوديو حداً جعله يعطي رقم هاتف والدتها إلى كل صديقاته.

ولكن من يهتم؟ انهن جميعاً موضع ترحيب منه. ونفضت حذاءها من قدميها، ثم ألقت بحقيبة يدها على السرير، ان بإمكان كيرستين باقي صديقاته ان يتقاتلن عليه كما يشأن.

سمعت طرقاً على باب غرفتها نصف المفتوح، فالتفتت لترى كلوديو واقفاً ينظر اليها.

قال لها: «رأيت ان أمر عليك لأخبرك بأنني خارج الآن.»

فأومأت: «فهمت.» ولم تسأله عما إذا كان خارجاً مع كيرستين، فبعد تلك الغمزة وغيرها، لا لزوم للسؤال.

قل لها: «نامي بسلام، وسأرك غداً.»

وعندما اغلق الباب وقفت تستمع إلى وقع خطواته وهي تبتعد إلى ان هبط السلم، وبعد فترة وهي تخلع ثيابها سمعت هدير السيارة وهي تبتعد.

وقفت لحظة وفجأة وقع نظرها على باب غرفتها اللامع، وابتسمت ساخرة من نفسها، لا لزوم إذن الآن لنقل اثاث الغرفة إلى خلف الباب، كما كانت فكرت، ثم استدارت وهي تتنهد محاولة جهدها تجاهل ما شعرت به من انقباض خفيف في صدرها والذي ضايقها رغم انه لا يمكن ابداً ان يكون نتيجة خيبة أمل تملكتها.

• • •

عندما نزلت راكيل في صباح اليوم التالي، إلى المطبخ لتتناول طعام الإفطار، كانت هناك ورقة موصولة ببطاقة مطبوعة تنتظرها على مائدة الإفطار.

وكان مكتوباً في الورقة (عليّ ان اذهب إلى العمل هذا الصباح، ولكنني اقترح ان نتناول الغداء معاً، فقط من باب التظاهر، فتعالي إلى مكتبي حوالي الواحدة.) وكان الإمضاء أول حرف من اسمه (ك) كبيراً ضخماً.

وحدثت راكيل نفسها بشيء من التذمر، بانها قد تذهب وقد لا تذهب، من يظن نفسه لكي يصدر إليها بأوامره حتى قبل ان تتناول الإفطار؟ لكنها وهي تصنع القهوة، اخذت تقرأ البطاقة المطبوعة المتصلة بالورقة. (كلوديو ديلانجيلو، مهندس)، هذا إلى عنوان مكتبه في فلورنسا، ثم فكرت في ان هذا شيء مهم، في الواقع ولكنها مع ذلك قد تفضل تناول الغداء وحدها. ولكنها عندما جلست بعد دقائق مع فنجان

قهوة فتحت دليلها السياحي لكي تدرس الخريطة في الداخل، كان عنوانه (فياديلا فيغنا نوفا) قريباً من وسط المدينة، وهذا يعني ان ليس من الصعب العثور عليه، ووضعت البطاقة في الدليل، ثم ألقت بالدليل جانباً.

قالت لنفسها سأرى عندما تحين الساعة الواحدة.

إرتدت راكيل ملابس مناسبة، بنطلون جينز وقميصاً ليموني اللون وحذاء خفيفاً مريحاً في السير، وبعد الإفطار مباشرة استقلت الباص إلى فلورنسا حيث أمضت معظم الصباح تجول بين المعارض الفنية الأسطورية الجمال، مخطوفة الأنفاس بجمال كنوزها من الرسوم الجدارية ومع انها بذلت جهدها لترى اكثر ما يمكنها رؤيته، وصلت بعد ساعتين ونصف من التجوال بين تلك الكنوز، وصلت كغيرها من ملايين السائحين، إلى نتيجة هي ان استيعابها لهذه المناظر يقتضيها الحياة كلها في تأملها.

هذا إلى انها حالياً كانت قد وصلت إلى مرحلة الاشباع، فقررت ان تعود فيما بعد لتتابع ما كانت بدأته، وفي نفس الوقت ستقوم بجولة في المدينة.

تركت معرض الفنون وسارت في شارع سيغنوريا الجميل والذي تحف به المقاهي على جانبيه وعربات الخيل للتأجير، ثم انعطفت ناحية النهر مرة أخرى لتتفرج على متاجر الأحذية في شارع كالزايولي، ولسبب ما ألقت نظرة على ساعتها.

كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة بعدة دقائق وشعرت بانقباض في نفسها، هل تذهب إلى مكان ما وتتناول غداءها بمفردها؟ أم عليها ان تذهب لتبحث عن عنوان كلوديو؟

اخرجت خريطتها من حقيبتها ثم اخذت تنظر فيها لحظة وإذا بها تكتشف انها على مسافة قصيرة فقط من عنوانه، ولكنها ما زالت مترددة، اتراها تريد حقاً ان تراه؟

أليس من الأفضل لها ان تتناول غداءها وحدها؟ ولكن حتى وهي تفكر بين الأمرين، كانت قدماها تتجهان دون وعي منها في اتجاه النهر، وعندما وجدت نفسها امام باب مكتبه، كانت ماتزال تتساءل مفكرة بين الأمرين؟

قرعت الجرس وانتظرت ومازالت شاعرة بالتردد، عندما لم يجب الجرس سوى الصمت صدرت عنها آهة ارتياح خفيفة، يبدو انه لم ينتظرها، لا بأس فهذا أمر حسن، وهي ستذهب إلى مطعم وتتناول غداءها. ولكن ما ان شرعت بالسير مبتعدة حتى سمعت هاتف المبنى يقرقع، ثم صوتاً يسأل: «من هذا؟»

وقفت ثم استدارت ببطء تنظر إلى شبكة هاتف المبنى النحاسية اللامعة، ثم تقدمت نحوها، فمن سوء الأدب عدم الإجابة.

قالت: «هذا انا، ولكن يمكنني الذهاب إذا كنت مشغولاً.»

وعلى الفور سمعت أزيزاً انفتح الباب بعده وصوتاً يقول: «إصعدي بواسطة المصعد. فأنا في الطابق العلوي.»

فعلت راكيل ما قيل لها ثم خرجت من المصعد حيث كان كلوديو أمام باب مكتبه المفتوح، وكان من الحماقة حقاً ان تشعر بقلبها يخفق لرؤيته. لقد رأت هذا الصباح مناظر جميلة جداً، ولكن لم يكن بينها ما هو أجمل منظراً منه.

يا لها من افكار سخيفة سرعان ما تخلصت راكيل منها بينما كان هو يبتسم لها قائلاً: «مرحباً، ادخلي.»

كان يرتدي بنطلوناً فاتح اللون وقميصاً ورديا قد رفع كميه إلى كوعيه، وعندما أدخلها إلى مرسمه الفسيح، كان واضحاً انه كان يعمل، ففي وسط القاعة الواسعة بنوافذها القديمة الطراز والتي تلقي ضوءاً ورديا دافئاً في كل اتجاه، وُضع مكتب هندسي مغطى بخرائط معقدة، وعلى زاويته فنجان قهوة لم ينهه بعد.

شعرت راكيل بالتردد، فقد تملكها شعور بأنها لسبب ما، غريبة هنا، فهذا الذي تدخله مكانه الخاص وحياته، شعرت بأن كلوديو الحقيقي يسكن هنا، ولم تكن واثقة تماماً مما إذا كانت تريد مواجهة معه.

قالت: «إذا كنت مشغولاً، يمكنني الذهاب.»

«كلام فارغ، لقد كان صباحاً حافلاً بالعمل، ولكنني انتهيت الآن.» نظر اليها مؤنباً وهو يتابع قائلاً: «وماذا تعنين بقولك، انك تذهبين بسهولة هل نسيت أنني دعوتك؟»

«كلا، لم انس، ولكن ربما ليس الغداء ضرورياً، اعني... لقد كنا قمنا بتمثيل جيد تماماً الليلة الماضية.»

ابتسم كلوديو، ولكنها كانت ابتسامة أرق من المعتاد، فقد كانت خالية من حدّتها المعتادة. نظر إلى وجهها لحظة مفكراً ثم قال: «دعيني أريك مكتبي بسرعة، ثم نذهب ونتناول غداء لذيذاً وشهياً.»

استمعت راكيل لمدة ربع ساعة، إلى حديث خلاب عن عمله في المرسم الهندسي.

قال لها شارحاً: «المكاتب الإدارية هي في الطابقين السفليين. ولكن العمل الحقيقي يدور هنا.»

عندما اخذت تلقي عليه بالأسئلة، اخذ يريها رسومه

ويشرح لها بعض الأمور عن المشاريع التي يعمل فيها حالياً.

«هذا شيء رائع حقاً.» كان بإمكانها ان تمضي طوال فترة العصر هنا وبغاية السعادة. وشهقت عندما وقفا فجأة امام نافذة مفتوحة تطل على أروع منظر لسطوح فلورنسا الحمراء ونهر آرنو وفوقه جسر سانتا ترينيتا.

إتكأت على عتبة النافذة تنظر إلى الخارج بابتسامة سعيدة: «إذن فمن هنا ينزل عليك كل ذلك الالهام؟»

قالت ذلك وهي تلتفت إليه، غير مدركة انه يقف خلفها، وإذ خفق قلبها، عادت تستدير لتتابع النظر إلى ذلك المنظر وهي تتساءل عما سيحدث.

بينما كان هو يجيبها قائلاً: «انه ملهم حقاً رغم انني تعودت عليه.»

«وهل من الممكن ان يتعود عليه احد؟»

قالت ذلك رغم الخوف الذي كان تملكها من الكلام... الخوف من ان ينم صوتها عن المشاعر التي اخذت تغلي في اعماقها وهي تشعر به لا يبعد عنها سوى سنتمترات قليلة.

اخذت تفكر في انها ربما ما كان ينبغي لها ان تحضر، وشعرت فجأة بأن كل شيء يخرج عن سيطرتها، وبدا على كلوديو انه غير منتبه إلى اضطرابها هذا وهو يسألها بصوت مرح: «يبدو ان مدينتي قد اعجبتك حقاً؟»

«انها رائعة الجمال، لقد ذهبت إلى اوفيزي هذا الصباح، ثم قمت بعد ذلك بجولة في وسط المدينة.»

كانت راكيل تتساءل عما إذا كان بإمكانها ان تستدير وتواجهه، فهي لم تكن لتستطيع متابعة الحديث وظهرها إليه.

أخيراً أرغمت نفسها على الإستدارة بسرعة، وإذا بها تدرك انه لم يكن في الواقع قريباً منها إلى الحد الذي كانت تتصوره، وان يكن من القرب بحيث يجعل قلبها يخفق بين ضلوعها، وتمتمت تقول: «انها جميلة كما يقولون حقاً.»

«انني مسرور إذ اعجبتك، فأنا أيضاً مولع بها، وكما سبق وقلت، لقد اعتدت عليها الآن... ولكن ليس إلى الحد الذي اخذها فيه أمراً مسلماً.»

كان يقف امامها وأشعة الشمس على وجهه، ما جعلها تتفحص ملامحه بكل تفاصيلها، كانت عيناه كالقطيفة السوداء واهدابه طويلة كثيفة. كانتا عينين رائعتين. وذلك الأنف كان قوياً ارستقراطياً للغاية. وبينما كانت تحدق إليه، وجدت نفسها تتساءل عما ستفعل إذا هو فكر في لمسها.

لكنه لم يحاول مسها أو أي شيء من هذا القبيل، وفي الواقع رغم ان ملامحه كانت تسودها المودة والدفء، كان يتعمد ان يحتفظ بمسافة بينها وبينه.

حاولت ان تشعر بالسرور، ولكنها بدلاً من ذلك وجدت نفسها تتساءل عن سبب خروجه الليلة الماضية إلى المكان الذي سمعته يعود منه عند الساعة الثانية. إلى أين كان ذهب مع كيرستين؟ وما الذي كانا يعملانه؟ وتساءلت عما إذا كان يفكر فيها حالياً.

وإذا بكلوديو يبتعد عنها فجأة وهو يقول: «اظن علينا ان نذهب الآن لتناول الطعام، لا أدري عنك، ولكنني أكاد أموت جوعاً.»

ولكن عندما اصبحا في الشارع، اقترب منها مظهراً مودة غير عادية، ما جعلها تجفل منه ولا تعرف كيف تتصرف،

www.elromancia.com

عند ذلك قال لها باسماً: «هذا فقط في حالة ما إذا كان هناك من يرانا، فاحملي نفسك على الصبر، واتقني التمثيل مرة أخرى وانت تصرفين باسنانك.»

هل هذا ما كان يقوم به؟ يصرف بأسنانه؟

وجدت نفسها تتساءل عن ذلك كلما اخذ خلال الغداء، بين الحين والآخر، يمازحها ويشجعها على ان تحدثه عما رأته في أوفيزي، فلم تستطع ان تتأكد من ذلك وهي ترى لهجته سهلة عفوية، حتى انها احياناً كانت تؤخذ بها وكأنها حقيقية.

ولكن تصرفاته عادت بشكلها الأول الذي لا يظهر سوى المودة العادية والابتعاد عنها، وذلك حين انتهى الغداء وعادا معاً إلى مرسمه ليتناولا القهوة، لكنها حدثت نفسها بأن هذا هو المفروض وقد ابتعدا عن اعين الناس، وبعد أليس هذا ما كانت اخبرته به في السيارة الليلة الماضية؟ ولكنها مع ذلك كانت تعلم ان الوعد الذي كانت استخلصته منه الليلة الماضية، ليس هو السبب في تصرفاته الحسنة هذه، كلا فقد كان يتصرف بهذا الشكل لأنه هو يريد ان يتصرف بهذا الشكل.

حدثت نفسها بأن هذا حسن... ولكنها في الحقيقة لم تكن تشعر بأنه حسن على الاطلاق.

وكان السبب الذي جعلها تعود معه إلى مرسمه هو ان المدينة كانت مقفلة لقيلولة بعد الظهر، وكان كلوديو قد اقترح عليها ذلك قائلاً ان بإمكانها ان تضيع في مكتبه نصف ساعة أو نحوها حيث يتناولان القهوة، وذلك بعد ان اخبرته بأنها مازالت تريد ان تتفرج على مزيد من الأماكن في المدينة قبل ان تستقل الباص عائدة إلى البيت.

أما من ناحيته هو فسيكون مشغولاً بعمله، إذ قال لها وهما جالسان قبالة بعضهما البعض إلى مكتبه الضخم يشربان القهوة الإيطالية: «ان لدي زبوناً سيأتي الساعة الرابعة والربع وعند ذلك سيكون علينا ان نخرج معاً، وإلا لاقترحت ان نجتمع، أنا وأنت، في مكان ما فيما بعد فأوصلك عندما تعودين إلى البيت، ولكن المشكلة هي انني لا أعلم متى افرغ من ذلك الموعد.»

«لا بأس، فأنا أيضاً لا أدري كم سأتأخر.» وهزت كتفيها محاولة ان تتخلص من شعور غريب تملكها، لقد استمتعت بهذا الغداء معه، ولكن منذ عادت معه إلى مكتبه اخذت تعاني من شعور مفاجيء سخيف من وهن العزيمة، وكان السبب في ذلك هو التغير الدائم ما بين القرب منه والابتعاد عنه طوال الوقت، فهي لم تعد تعلم أين مكانها في صحبته، شاعرة بالتوتر يتملكها بشكل مطلق.

قالت له: «أريد فقط ان اتفرج على المتاجر، وعندما اشعر بالملل اعود إلى البيت.»

ألقت نظرة على ساعتها، قال لها ان موعده عند الرابعة والربع، وها ان الساعة قد تجاوزت الرابعة الآن، رشفت ما بقي في فنجانها ثم نهضت واقفة وهي تقول: «الافضل ان أذهب الآن قبل ان يصل زبونك.»

«سأسير معك إلى الخارج.»

ونهض واقفاً هو أيضاً، ثم قادها من خلال المرسم إلى المصعد، وعندما همت بدخوله، قال لها: «اذهبي ومتعي نفسك وسأراك هذه الليلة في البيت.»

ولم تعرف سبب هذا الشعور السخيف الذي تملكها والذي

www.elromancia.com

جعل التوتر في جسمها يتلاشى كلياً وهو يقول لها ذلك بابتسامة حقيقية حافلة بالمودة التي لم يكن فيها أثر من التمثيل على الاطلاق.

• • •

عندما وصلت راكيل إلى الفيلا، كانت الساعة السادسة والنصف، وما ان دخلت إلى الردهة حتى تصاعد رنين الهاتف.

وقفت لحظة شاعرة بقلبها يخفق بشكل غير معقول، وفكرت صامتة، في انها تأمل ان لا يكون المتكلم كيرستين أو صديقة أخرى له، ولكن ما ان رفعت السماعة حتى تملكها الذهول: «انه انا يا حبيبتي، كيف حالك؟ انا آسفة إذ لم استطع مخابرتك قبل الآن.»

فجلست راكيل على الكرسي بجانب الهاتف وهي تقول: «أنا بخير، يا والدتي، ولكن هناك شيئاً يجب ان اخبرك به...» ولكن قبل ان تنهي كلامها قاطعتها والدتها بقولها: «اسمعي أريد ان اختصر كلامي ياعزيزتي، فاستمعي جيداً إلى ما سأقوله لك.» ثم سكتت قليلاً لتتابع بعد ذلك. «لم يحدث شيء أليس كذلك؟ لقد قلت انك بخير؟»

«نعم، انا بخير تام يا والدتي، ولكن...»

«لا بأس إذن والآن اسمعيني جيداً، انني أريدك ان تقومي بشيء هام جداً لأجلي، أريدك ان تذهبي إلى مكتب دينو وتبحثي عن ملف موجود في مكتبه، ولونه احمر، انه في الدرج الأعلى ويمكنك رؤيته بسهولة، عند ذلك يجب ان تأخذيه غداً صباحاً إلى العنوان الذي ساعطيك إياه الآن... هل لديك قلم وورقة؟»

«نعم، لديّ.» وكان هناك دفتر وقلم بجانب الهاتف

جذبتهما راكيل اليها وهي تتابع قائلة: «ولكن هل يمكنني ان اشرح لك...»

«فيما بعد يا عزيزتي، فهذا هام جداً.» واخذت تتلو عليها بسرعة إسماً وعنواناً. «انه محامي دينو وهو سيكون في انتظارك، والآن عديني بأن تأخذي الملف اليه أول شيء عند الصباح.»

«أعدك يا والدتي.»

«انك فتاة طيبة، انتبهي إلى نفسك، يا حبيبتي، وسأتحدث اليك فيما بعد.» ثم اقفلت الهاتف.

جلست راكيل لحظة وقد تملكها الذهول، ثم اخذت تحدق في الاسم والعنوان المدونين في دفتر الملاحظات، ما الذي كان يجري؟ وما الذي تسعى اليه والدتها؟ ولماذا مطلوب منها ان تأخذ ذلك الملف إلى محامي دينو؟

لكن لا فائدة من التساؤل، فقد قالت انها ستفعل ذلك، ولذلك عليها ان تفعله، وما دامت وحدها الآن في البيت فعليها ان تذهب للبحث عن الملف المطلوب، ذلك ان شعوراً بالغ القوة تملكها بأن هذه المهمة الصغيرة المكلفة بها من الأفضل ان لا يعلم بها كلوديو.

دست عنوان المحامي في حقيبة كتفها، ثم أسرعت إلى الطابق العلوي حيث مكتب دينو ولم تكن راكيل قد دخلت مكتب دينو سوى مرة واحدة من قبل، وذلك عندما طافت بها والدتها انحاء الفيلا يوم وصولها، وكان ذلك يبدو بعيداً جداً الآن... خطر هذا ببالها وهي تفتح الباب رغم انه لم يكن منذ اكثر من يومين أو ثلاثة، من يصدق ان كل هذه الأمور قد حدثت حقاً في مثل هذه الفترة القصيرة؟

www.elromancia.com

كان مكتب دينو قائماً بجانب النافذة فسارت إليه راكيل مباشرة، ولكنها حين حاولت فتح الدرج العلوي وجدته مقفلاً، ولكن المفتاح كان في القفل، فأدارته بأصابع متوترة، فقد كانت تكره كل هذه الأمور السرية، وكان كل ما تريده هو ان تجد هذا الملف حيث اخبرتها والدتها، ووجدته. تنهدت بارتياح وهي تخرجه من الدرج. لقد تم إنجاز الرسالة، حدثت نفسها بذلك وهي تغلق الدرج بسرعة وتقفله كما كان. والآن عليها ان تخفيه في غرفتها إلى صباح الغد، ولكن ما ان استدارت لتخرج من الغرفة، حتى جمدت في مكانها لا تستطيع حراكاً، ذلك انها رأت كلوديو واقفاً على عتبة الباب ينظر إليها بملامح باردة كالثلج.

لم يتحرك، وإنما سمّرها مكانها بعينين جامدتين ثم مد يده إليها قائلاً: «والآن سلميني هذا الملف.»

الفصل الخامس

ضمت راكيل الملف إلى صدرها تحميه، وهي تقول لكلوديو: «لن اعطيك إياه، فهذا ليس من شأنك.»

ولكن كلوديو بقي واقفاً في مكانه، وهو يقول: «قلت لك اعطيني الملف.» نظر اليها مهدداً وقد اسود وجهه وما زالت يده ممدودة اليها.

«اما ان تعطيني إياه بخيارك، أو آخذه منك عنوة.»

«أتعني بالقوة؟»

فابتسم وهو ينظر اليها من أعلى إلى أسفل: «لا اظن مطلوباً مني كثير من القوة لذلك، وعلى كل حال افضل لو تعطيني إياه الآن.»

«ليس في نيتي ذلك.» واحكمت احتضانها للملف وكأنها تحمي تاجاً من الجواهر. «انه ملف خاص ولا شأن لك به.» التمعت عيناها غضباً، كيف يجرؤ على تهديدها؟ يا له من طاغية متحكم.

لكن كلوديو تقدم منها وقبل ان تفلح في تفاديه، كان قد اختطف الملف منها بخفة بالغة. ثم قال: «شكراً لك، ما الطف تعاونك معي.»

وقفت راكيل وقد تملكها الغضب، وهي تفكر في ما إذا كان عليها ان تحاول اختطافه منه هي أيضاً، بينما كان هو يفتحه ويبدأ بقراءة ما فيه، ثم ينظر اليها بفضول وفروغ صبر، ثم سألها: «انها الأوراق الرسمية المتصلة ببيع هذا

www.elromancia.com

المنزل إلى دينو، هل لديك مانع في ان تخبريني عما كنت تنوين العمل بها؟»

نعم، ان لديها مانعاً، وهي لن تخبره بشيء، حدقت إليه صامتة وشفتاها مطبقتان، ولكن كلوديو كان قديراً على استنتاج الأمور فقال: «اظنك كنت ستأخذين هذه الأوراق إلى محامي دينو، وإذ لم يكن له شأن في هذه المعاملة، فهو إذن لا يحق له نسخة منها.» وسمرها مكانها بنظرة حادة وهو يسألها: «هل انا على صواب؟»

لكن راكيل بقيت صامتة، ولكن عينيها فضحتاها، إذ بدا فيهما وللحظة واحدة، العجب من مقدار ذكائه هذا، ولا حاجة للقول ان كلوديو فهم هذه اللمحة الخاطفة في نظراتها.

ابتسم راضياً وهو يقول: «انا إذن على صواب، لا شك انهما كانا يأملان في ان يجدا ثغرة في هذا العقد يسمح لعمي العجوز بالنفاذ منها، حسناً انهما يضيعان وقتهما.» وبحركة تنم عن ازدراء بالغ، ألقى بالملف على المكتب خلفها، وهو يتابع قائلاً: «انني من أسرة مؤلفة من محامين لا تنسي هذا. والعقد الذي كتبته انا لا يوجد فيه ثغرات.»

ثم سألها وقد ضاقت عيناه: «ومن هو الذي اعطاك تعليمات بأن تأخذي الملف إلى محامي دينو؟»

فتجاهلت راكيل السؤال وهي تنظر اليه بشراسة بينما تتقدم نحو المكتب ثم تختطف الملف، ثم قالت له بلهجة فولاذية وهي تراه مازال واقفاً عند العتبة يقفل الطريق: «أريد ان اغادر الغرفة الآن، فهل لك ان تبتعد عن طريقي من فضلك؟»

«عندما تجيبين على سؤالي.»

لم تتحرك عضلة واحدة في كلوديو، وفي الواقع بدا وكأنه اصبح اكثر ثباتاً امامها وكأنه صخرة. «من طلب منك اخذ الملف إلى محامي دينو؟»

فحملقت به راكيل بتمرد، تباً له من ماهر لماذا لا يستنتج ذلك أيضاً بنفسه.

لكنها ما ان فكرت في ذلك حتى كان هو قد استنتجه فعلاً، فقال وعيناه مسمرتان في عينيها: «لا بد انها والدتك أو دينو، وانت تلقيت إما رسالة أو مخابرة هاتفية، فأيهما اتصل بك؟»

فقالت وعيناها على الباب: «لن اخبرك بشيء، وإذا لم يكن لديك مانع فأنا أريد الخروج حقاً.»

ابتسم في وجهها بعبوس: «أظنها كانت مخابرة هاتفية، وهذا ما حدث، تلقيت المخابرة عند عودتك، واستغليت غيابي لتنسلي إلى المكتب وتحصلي على الملف مقررة ان لا تخبريني شيئاً عنه. كم هذا ممتع.» وبدت ملامحه اكثر عنفاً، «انني اريد ان اعلم عن هذه المخابرة.»

ذهلت راكيل والتي كانت على وشك ان تطلب مرة أخرى منه التنحي جانباً لكي تخرج، ذهلت وهي تراه يتقدم فيمسك بمعصمها يجرها خارجاً بها إلى الممر وهو يقول: «فلنهبط إلى الطابق السفلي، ونصنع لنفسينا فنجان قهوة ومن ثم تخبرينني بكل شيء عن هذا الأمر.»

«ليس هناك ما اخبرك به.»

كانت ماتزال تحتضن الملف وهي تحملق في كلوديو من على الكرسي الأخضر الذي كان ألقى بها عليه منذ دقيقتين،

فقد كان انزلها إلى الطابق السفلي رغماً عنها إلى حيث ادخلها إلى غرفة الجلوس هذه ومن ثم القاها بين الوسائد وهو ينذرها بقوله: «إياك حتى ان تفكري في الهرب مني قبل ان تخبريني بكل ما أريد معرفته.»

فابتسمت ساخرة بينها وبين نفسها، من اين لها الحظ في الهرب بينما أي محاولة منها لذلك لن تكون سوى اضاعة الوقت؟ ان كل ما ستحصل عليه هو اعطاؤه فرصة التحكم فيها.

اخذت تدعك معصمها الذي مازال يؤلمها من عنف قبضته عليه وهو يجرها هابطاً بها السلم، وهي تسأله: «لماذا انت دوماً متشكك؟ انني لا اخفي عنك شيئاً.»

نظر اليها غير مصدق: «أرى ان هذا سيأخذ بعض الوقت، والآن هل لك بشيء من العصير؟»

«نعم من فضلك، أريد عصير الليمون.»

«أتريدين معه ثلجاً؟»

فضحكت وهي تقول: «ثلج في الليمون؟ أراك حيناً تجرني خلفك كما يفعل رجل الكهوف بامرأته، وحيناً آخر تقدم لي عصير الليمون بالثلج! حقاً انك رجل غير عادي.»

«انني مسرور لهذا الاستحسان منك، وحيث انك لم تجيبي على اسئلتي، فأنا افترض ان هذا يعني نعم.»

ناولها شرابها فأخذت ترشفه وهي تنظر إليه يتقدم نحو الأريكة التي امامها ثم يجلس ماداً امامه ساقيه الطويلتين، لم تكن تقصد مدحه حين قالت له انه رجل غير عادي، كما ظن هو ولكن لا بأس... فقد كان وصفها له حقيقياً تماماً... فهو رجل لا يمكن ان تعرف له مثيلاً،

ولم تكن مشاعرها، وهي تفكر في ذلك سلبية نحوه على الاطلاق.

لا شك انه أوصلها إلى حافة الجنون، فهو متحكم وعنيد، وفيه من العيوب ما لا يحصى، ومع ذلك ففي شخصيته ما يجعلها مليئة بالحيوية كلما كانت قريبة منه وذلك بشكل لم تشعر به في حياتها.

كان ذلك وكأن فيه ما يحرك في نفسها حيوية بالغة كامنة في اعماقها لم تستشعرها من قبل، وحدثت نفسها بأنها لم تعرف من قبل رجلاً مثيراً مثله.

خفضت بصرها متظاهرة بوضع الملف الأحمر عند قدميها، ثم عادت ترشف العصير وهي تعنف نفسها لمثل هذه الأفكار.

«والآن فلنعد إلى تلك المخابرة الهاتفية التي كنا نتحدث عنها... ولكن، أولاً أريد ان اعرف ما إذا كانا هما اللذين اتصلا بك ام انت التي اتصلت بهما؟»

كان صوته قد عاد إلى خشونته السابقة ما بدا معه متعارضاً تماماً لمشاعرها الحمقاء نحوه، فعادت تنظر اليه بحدة وضيق: «وكيف بإمكاني ان اتصل بهما بينما لا اعرف رقم هاتفهما؟ هل نسيت؟»

«انني لم انس ان هذا ما اخبرتني به، ولكن من يعرف مبلغ صحة كلامك؟»

تنهدت وهي تقول: «انه صحيح، لماذا لا تصدقني؟ انها والدتي التي اتصلت بي، تماماً كما كنت انت تكهنت بالأمر، وذلك منذ مدة قصيرة فقط.»

«وكم من المخابرات الهاتفية تلقيت حتى الآن؟»

«أتعني من والدتي؟»

«من والدتك أو من دينو.»

«لا شيء، فهذه أول مخابرة اتلقاها.»

«هل انت واثقة من ذلك؟»

«طبعاً انا واثقة، فهذه أول مخابرة اتلقاها وليس ثمة غيرها، حتى هذه لم تدم اكثر من دقيقتين.»

أمعن النظر فيها لحظة ثم قال: «حسناً، اخبريني عنها.»

«لم تقل كلاماً كثيراً، طلبت مني فقط ان آخذ هذا الملف إلى محامي دينو وذلك في الصباح الباكر.»

«حسناً، وماذا قالت غير ذلك؟»

«لا شيء.»

«لا شيء؟» ورفع حاجبيه غير مصدق. «من المؤكد انك لا تتوقعين مني ان اصدق ذلك.»

توترت اصابعها حول الكوب وهي تفكر في انه كان ينبغي ان يكون محامياً، إذ لديه طبيعة المحامي في التشبث بالحصول على جواب اسئلته، تنهدت ثم قالت: «لقد سألتني عن حالي.»

«وبماذا أجبتها؟»

«قلت لها انني بأحسن حال.»

«قلت لها انك بأحسن حال؟ وماذا قلت لها أيضاً؟»

فعبست قائلة: «ماذا تعني؟»

فارتفع حاجباه الاثنان هذه المرة: «هل تحاولين حقاً ان تخبريني انك لم تخبريها بشيء عنا، أنا وأنت؟»

فاحمر وجهها، كان الحق معه تماماً.

وقالت بارتباك: «لقد حاولت ولكنها لم تترك لي فرصة،

في كل مرة حاولت ان اخبرها فيها، كانت تقاطعني، لقد كانت مستعجلة، أرادت فقط ان تخبرني عن الملف، وعندما انتهت اقفلت الخط.»

مال إلى الأمام في مقعده، وكل خط في ملامحه ينطق بالاتهام: «هذا شيء غير عادي على الاطلاق، كان كل ما عليك ان تفعليه لكي تجعلي والدتك تستمع اليك، هو ان تلفظي اسمي، اتريدين ان تقولي انك حتى هذا لم تفعليه؟»

فقالت: «كلا، لم افعل هذا، انا آسفة.» ولم تكن في الحقيقة قد فكرت في هذا.

«اظنك كنت قلت لي انك متلهفة إلى التعاون معي. فما الذي يحدث هنا؟» قال جملته الأخيرة وهو يراقبها بحدة وعيناه تلتهبان غضباً.

فقالت تجيبه: «لا شيء يحدث هنا، وانا متلهفة فعلاً إلى التعاون، فأنا أريدهما ان يعودا وأن تخرج انت من هنا بأسرع وقت ممكن.»

قالت ذلك عابسة، ثم سألته بلهجة الاتهام: «لا أراك تظنني مستمتعة بهذه المسرحية السخيفة التي ترغمني عليها؟»

فقال بصوت فولاذي رغم ومضة من المرح بدت في عينيه: «حسناً، ومن يدري ربما كنت مستمتعة بذلك، لقد كانت هناك فرصة ممتازة لوضع نهاية لها، ولكنك الآن تخبرينني بأنها ضاعت... وبهذه السهولة.»

«لقد حاولت.»

فضاقت عيناه: «قد تكونين حاولت وانما ليس بالحماسة التي يستحقها الوضع، ولكن لا بد انك استطعت الحصول على عنوان والدتك أو رقم هاتفها على الأقل.»

فهزت رأسها بكآبة: «كلا، لم احصل على ذلك.»

«كلا؟» وبدا كلوديو هذه المرة مذهولاً تماماً، استمر ينظر اليها لحظة ثم استقام في مقعده وهو يقول: «هناك شيء يحدث هنا، انك تكذبين، فأنت تحاولين ان تحمي والدتك ودينو.»

نظرت إليه راكيل بعينين ضيقتين، ثم جلست في مقعدها مائلة إلى الأمام: «حسناً، ربما انا كذلك، ربما هذا ما أقوم به بالضبط.» وشعرت فجأة بأنها تعبت من القيام بدور الدفاع، فانفجرت تقول: «إنني استحق وساماً فعلاً لأي شيء أقوم به لحمايتهما من رجل مثلك.»

«انهما ليسا بحاجة اليك لتحميهما.»

«ربما رأيي هو انهما بحاجة إلى ذلك.»

«إذن فأنت تعترفين بهذا، أليس كذلك؟ هنالك شيء يدور هنا انت لا تخبرينني عنه.»

«ربما أنت على صواب فيما تقول.» واستقامت في جلستها لتواجهه: «ربما هناك الكثير الكثير يحدث هنا وأنا لا اخبرك به، ليس لي نية في ذلك، مهما كان تحكمك وتسلطك.»

فابتسم كلوديو: «يا لها من كلمات شجاعة.» وفجأة نهض واقفاً ثم وضع كوبه بعنف على المنضدة بجانبه: «دعينا نرى كم يلزم من الوقت حتى ترغمي على ابتلاعها.»

كانت راكيل قد عادت تنكمش في مقعدها قليلاً عندما وقف بشكل غير منتظر، وكأنها تتوقع ان يمسك بها ويسلبها الحياة، وهي ترى لمعة تهديد واضحة في عينيه، ولكن عندما لم تبدر عنه حركة للإمساك بها وإنما بدلاً من ذلك

دس يديه في جيبي بنطلونه ووقف يحملق فيها ببساطة، شعرت بحاجة كافية لتعنيفه ساخرة: «انك لم تتعود وقوف أحد في وجهك، أليس كذلك؟ كل انسان يخاف منك. وهم يدعونك تهزمهم، حسناً هذه تجربة جديدة بالنسبة اليك، لأنني لا اخاف منك على الاطلاق، وقد تلقيت منك كل ذلك التحكم الذي كنت مستعدة له.» ورفعت رأسها متحدية وهي تنفض إلى الخلف شعرها الأحمر اللامع. «اتركنا إذن انا ووالدتي وزوجها.»

«سأتركك عندما انتهي منك، ولكنني لم انته منك بعد.» والتهبت عيناه، كان يماثلها غضباً. «فإذا أردت ان تقاتلي فلا تقلقي لأنك ستحصلين على القتال.»

لم تكن راكيل تريد قتالاً، ولكنها أرغمت نفسها على ان تجيب بشجاعة: «هذا حسن، ليس لدي سواك يشعرني بالبهجة لمقاتلته.»

فابتسم لها بازدراء، وهو يقول: «لا تضخمي من الامر، اعني من البهجة... فعندما اقاتل لا اقاتل من أجل البهجة، بل لكي انتصر، وهذا هو مبعث البهجة لي، في الانتصار.»

وشرع في السير إلا انه ما لبث ان وقف والتفت اليها يقول ساخراً: «بالنسبة للحديث عن البهجة... اننا انا وانت سنذهب إلى حفلة هذه الليلة. فارتدي اجمل ثيابك واستعدي للخروج الساعة العاشرة.»

«حفلة؟ انك تمزح. كيف يمكننا الذهاب الآن إلى حفلة؟» وضحكت متهكمة لهذه الفكرة. «لا يمكنني التظاهر بأنني مجنونة بحبك، هذه الليلة وهذا صعب تماماً في افضل الأوقات، فكيف به الآن؟ آسفة إذ لا أرى فرصة لذلك أبداً.»

«إنني اوافقك على ان الأمر صعب، ولكن هذا يجب ان يكون بعد ان نسفت أحسن فرصة سنحت لك لإحضار والدتك وزوجها إلى هنا. لهذا أرى مع الأسف ان علينا ان نتابع السير في خطتنا هذه.»

وسمرها مكانها بنظرة قاسية لا تحتمل المناقشة ثم قال متابعاً: «وهكذا كوني مستعدة إذا لم يكن لديك مانع، الساعة العاشرة بالضبط... واعدي نفسك للقيام بأهم ادوار حياتك.»

* * *

في العاشرة بالضبط كانت راكيل مرتدية بنطلوناً من الحرير الأحمر اللون وبلوزة سوداء ضيقة ترتديها عادة تحت بلوزة واسعة حريرية، ولكنها قررت انها هذه الليلة ستكون حقاً فتاة جديدة. هذه الليلة لن يكون بجانب كلوديو عصفور حب يتنهد بل حبيبة مكافحة شرسة حمراء الشعر.

كل هذه كانت تصورات طبعاً... وابتسمت لأفكارها هذه وهي تصبغ شفتيها فوق العادة وجعلت من خصلات شعرها الجعدة الوافرة هالة كثيفة حول وجهها، ذلك انها كانت تعلم ان هذه هي طريقتها الوحيدة للنجاح هذه الليلة.

كانت تغلي في داخلها بعد ذلك الموقف الذي جرى بينهما في غرفة الجلوس، ما جعلها لا تستطيع احتمال دور الحبيبة. فإذا لم تستطع الاحتفاظ بغليان الغضب هذا، فعليها إذن ان تغلي بحماسة مزيفة بدلاً من ذلك.

بدا بوضوح ان كلوديو لم يستنكر هذا التطور فيها على الاطلاق. لقد نظر اليها وهي تدخل إلى غرفة الجلوس، وقد

بدت عليها الجرأة والجسارة حتى انها لم تكن تبدو بشخصيتها الطبيعية العادية على الاطلاق، نظر اليها وقال: «حسناً، يبدو وكأنها ستكون سهرة غير عادية.»

كانت راكيل تحس بذلك هي أيضاً ولكنها كانت رغم ذلك مصرة على سلوك هذا السبيل فألقت عليه نظرة متحدية غاضبة، فقد كان الاستياء البالغ مايزال يتملكها منه.

«انك قلت انك تريدني أن اقوم بأهم ادوار حياتي... حسناً خذني إلى الحفلة.»

كانت الحفلة في فيلا بقرب بيلفيدير وعندما وصل كلوديو وراكيل اليها، كانت مزدحمة تقريباً.

نظرت راكيل حولها من أنحاء هذه القاعة التي كانت مليئة بأناس رائعي الجمال والأناقة، البعض منهم كان يقف في جماعات يضحكون ويثرثرون معاً، والبعض جالس إلى الموائد يستمعون إلى موسيقى اميركا اللاتينية والتي كانت تعزفها فرقة وقفت على مصطبة في زاوية من القاعة، وكانت هناك الشرفة البالغة الاتساع والتي كان المدعوون فيها اكثر ازدحاماً.

ابتسمت راكيل وهي تشعر بدفق رائع من الطاقة، كان هذا بالضبط ما هي بحاجة إليه، ان تكون في مكان بين أناس هدفهم الوحيد هذا المساء هو الاستمتاع بوقت حسن ينطلقون فيه على السجية، عندما دخل بها كلوديو بين هذه الجموع، تألقت عيناها وهي تقول: «هيا دعنا نري الآخرين كيف يكون المرح هذه الليلة.»

«أرى ان عليّ ان اراقبك جيداً هذه الليلة.» وابتسم لها كلوديو وهو يقول ذلك وقد تصاعد اهتمامه بمظهرها

الجديد وهي تسير إلى جانبه، ثم تابع يقول: «أرى ان علينا الآن ان نذهب لتحية مضيفتنا.»

«لا بأس، أين هي؟ اريد ان اهنئها على كل هذا.» وشملت القاعة الرائعة بنظرة اعجاب، لم تر قط في حياتها مثل هذه الزخارف والزينة الجميلة.

في هذه اللحظة تقدمت نحوهما امرأة في ثوب فضي متألق، وهي تهتف: «كلوديو.» ثم التفتت إلى راكيل بنفس الابتسامة الفياضة بالحيوية والإشراق: «عرفني حالاً إلى العصفورة هذه التي احضرتها معك، يا عزيزي. انها أروع مخلوقة في هذه القاعة.»

فضحكت راكيل بينما اخذ كلوديو يقدم الواحدة منهما إلى الأخرى، وأحبت على الفور آنا المرحة هذه والتي ظهر انها مضيفتها صاحبة الحفلة.

قالت لها راكيل: «انها حفلة رائعة، لقد وصلنا لتونا ومع ذلك أمضيت وقتاً أسطورياً بجماله.»

التفتت المرأة إلى كلوديو وقالت له: «هذا ما احب سماعه بالضبط، لقد احببتها، ليس فقط لأنها مذهلة بجمالها، ولكنها تبدو لي وافرة الحيوية أيضاً.»

ابتسمت لراكيل وهي تتابع: «هذه هي المشكلة مع الرجال، انهم يخافون على شرفهم من أي امرأة زائدة الحيوية.»

فضحك كلوديو: «ليس زوجك بيبو على كل حال فهو مستثنى.»

«طبعاً.» وأدارت آنا نظراتها في أنحاء القاعة المزدحمة إلى ان وقعت عيناها على رجل ذي لحية كان واقفاً بين

جموعة من الضيوف فقالت: «ان زوجي الحبيب يعلم ان لا طر على شرفه من حيويتي الزائدة.» ضحكت وهي تتابع: حتى ولو كان هناك خطر، فهو لا يلاحظ.» ثم توجهت لحديث إلى راكيل «في الواقع كلوديو هو مستثنى آخر ادر الوجود. وهذا هو السبب في انسجامنا معاً.» ثم عبست ائلة: «ان مشكلته مختلفة، مشكلته هي...» ولكنها لم تكمل انضم اليهم في هذه اللحظة اثنان آخران فاتجه الحديث لى موضوع آخر، ولكن الفضول بقي متملكاً راكيل. كيف كانت آنا تنوي ان تكمل جملتها؟

وقفا فترة يتحدثان إلى الآخرين، ثم أمسك كلوديو بذراع راكيل قائلاً انه يريد ان يريها الحديقة الرائعة.

كانت فعلاً تتوق إلى ذلك. ربما الهواء الطلق وشذا الأزهار سيزيل التوتر الذي تشعر به، لأنها كانت ماتزال غاضبة من الطريقة التي عاملها بها.

قالت له وهما يجلسان على مقعد تظلله خميلة متدلية، وهي تتأمل اناقته ووسامته البادية، باستحسان: «من يراك لا يتصورك بمثل تلك الشخصية المتحكمة.»

فقال لها: «ومن يراك بهذا الجمال والحيوية لا يتصورك كاذبة بذلك الشكل.»

رمقته بنظرة حادة، ثم سألته: «ما الذي كانت آنا على وشك قوله عنك؟ كانت تنوي ان تقول ما تحسبه مشكلتك...»

فقال: «ليس لدي فكرة عما كانت تنوي قوله، وعلى كل حال، ليس لدي شك في انه كان مديحاً.»

فقالت ساخرة: «حسناً، هذا هو ظنك انت، ولكن الحقيقة انني اعرف ما هي مشكلتك.»

«اخبريني إذن، فالفضول يتملكني.»

«انك حقير ومستبد.»

«أنت كذابة متصنعة.»

«ليس فيك أثر للياقة أو التهذيب.»

«وانت لا تعرفين ما هي اللياقة إذا حدثت أمامك.»

«حسناً، لن يحدث هذا ما دمت انت موجوداً، أليس كذلك؟»

لم يكن ثمة احد يسمع حوارهما هذا، لقد كانت حرب خفية يدور رحاها بينهما تحت تلك الخميلة الشاعرية.

فقد اختلطت تلك الشتائم مع انغام الموسيقى حتى اصبحت كلاً لا يتجزأ.

قالت له: «أرجو ان يكون قد رآنا أحد في هذه الجلسة، فأنا لا اريد تكرار هذا المشهد التمثيلي، والذي يظهرنا كحبيبين، مرة أخرى.»

فقال: «ان رجاءك هذا ليس اكثر من رجائي، فأنا لا اظنني سأستطيع احتمال قضاء سهرة أخرى بصحبتك.»

فقالت له بحدة: «انك متعجرف.»

فقال: «وانت غشاشة.»

«أنت مغرور.»

«وأنت طفلة مفسودة.»

ولكنهما عندما كانت تتشابك نظراتهما، كانا يبتسمان. لقد فقد القتال بينهما حدته، وكل شيء بدا جلياً الآن في مظهر مختلف، كانا مايزالان ينعتان بعضهما البعض، لكن ليس إلى حد المعركة، فقد أخذ الجو بينهما يتفجر هزلاً ورغبة خفية. وأدركت راكيل فجأة انها كانت تضحك وهي

رجع رأسها إلى الخلف ببهجة خالصة، لم تشعر قط من قبل مثل هذه الحيوية.

«هل لك في بعض المرطبات؟»

وعاد إلى قاعة الحفلة إلى حيث اخذ كل منهما كوب عصير. ولكن راكيل لم يكن لديها رغبة في الجلوس، كان قلبها يخفق بعنف.

سألها كلوديو ان كانت ترغب في التمشي في انحاء الحديقة لكنها لم تكن واثقة مما كانت تريد، ولكن السير بدا لها فكرة جيدة.

كان يجلس في الشرفة جموع من الضيوف فسارا بينهما عائدين إلى الحديقة.

قال لها باسماً وهو يرشف العصير من كوبه، بينما هما سائران في الممر المرصوف بالحصى. «انك متألقة كنجمة، ان مظهرنا معاً يبدينا منسجمين تماماً لمن يرانا.»

«وانت كذلك، نجم متألق.»

كانت هي أيضاً ترشف العصير من كوبها، ولكنها لم تنظر اليه. لأنها فجأة اخذت تتساءل عما إذا كان سيرهما هذا فكرة حسنة، فقد شعرت فجأة بأن قربه منها اصبح يشعرها بالتوتر. ولم يكن ذلك لأن قربه منها لم يكن يرضيها، وإنما كان استمتاعها بذلك يخيفها نوعاً ما.

إتكأت راكيل على حاجز حجري منخفض، وأخذت تحدق إلى التلال المترامية الداكنة الخضرة، وتنهدت محاولة ان تتخلص من هذه المشاعر الغريبة التي تتملكها، وفجأة لم تعد تعرف ما تفعل بنفسها، لفت

www.elromancia.com

نظرها شيء جذب اهتمامها لحظة، ثم اشارت بإصبعها تسأله: «انظر. ما الذي هناك؟»

فنظر ثم قال: «انها الحباحب وهي حشرة مضيئة، ألم تريها من قبل؟»

فأجابت: «كلا، لا اظن لدينا مثلها في انكلترا، وإلا لرأيتها، ما اسمها في اللغة الايطالية؟»

«اسمها ليكسيول.» ووضع كوبه الفارغ على الجدار فحذت حذوه، بينما كان يقول لها: «والآن، فلنعد إلى الحفلة.»

الفصل السادس

حولت راكيل عينيها عن عينيه واخذت تستمع برهة إلى الموسيقى الحالمة الآتية من القاعة، كان الأمر غريباً، فقد أحست بنفسها في عالم خاص من الاحلام مع كلوديو، واستغربت إذ تذكرت بأنهما في منزل اصدقائه في فيلا قائمة بين تلال توسكاني... وهو مكان جميل للغاية.

وشعرت بيده حول كتفها وهو يقول برقة بالغة: «هيا بنا إلى الداخل.»

ثمة شيء تغير بينهما، كان ذلك واضحاً لها وهما يسيران في الحديقة عائدين إلى الحفلة، لم يكن الأمر مجرد توقف القتال بينهما، كان يبدو ان علاقتهما قد تغيرت كلياً، وكأن كلاً منهما قد تقدم خطوة نحو الآخر، وكأن كل الحواجز التي كانت بينهما قد انهارت مرة واحدة.

شعرت بنفسها تستدير فجأة إليه ثم تقول له: «ان ما كنت اخبرتك به من قبل كان صحيحاً تماماً، اعني عن والدتي، وعن المكالمة الهاتفية لم يدر بيننا أي حديث آخر، كما انني لا أدري أين توجد والدتي وزوجها، أرجو ان تصدقني.»

فالتفت ينظر اليها قائلاً، وكانا قد وصلا إلى أولى درجات الشرفة: «ظننتك قلت انك تعلمين المزيد.»

«قلت ذلك فقط لأنك اغضبتني، ولكنني اقسم ان ذلك لم يكن صحيحاً، صدقني، لقد اخبرتك بكل ما اعرفه.»

www.elromancia.com

فقال ومازال ينظر في عينيها: «هل انت واثقة تماماً؟» ثم ابتسم فجأة وهو يقول: «هل من الحكمة ان اصدق كلامك؟»

«نعم، من الحكمة ذلك، صدقني أرجوك، اؤكد لك ان هذا صحيح تماماً.»

«لا بأس، فأنا اصدقك، وكيف يمكنني غير ذلك في ليلة ساحرة كهذه؟»

كانت البهجة تشمل نفس راكيل وهما يصعدان الدرجات الحجرية، كان ذلك صحيحاً تماماً. فكل الحواجز بينهما قد انهارت. كل الغضب وعدم الثقة والنفور الذي كان بينهما، قد تلاشى وحل محله تقارب رائع، وتساءلت وهما يجتازان الشرفة، عما إذا كان قد لاحظ احد هالة السعادة حولها، ذلك انها لم تشعر طوال حياتها بسعادة مذهلة كهذه التي تشعر بها الآن.

• • •

بقيا في الحفلة إلى ما بعد منتصف الليل، ومع ان راكيل كانت على صواب حين كانت فكرت سابقاً بأن من الصعب ان تحتفظ بنفس الحماسة التي كانت تشعر بها من قبل، فان هذه المشاعر الجديدة الدافئة، التي سرت الآن بينهما، وفاضت بها اعينهما كلما نظر الواحد منهما إلى الآخر، هذه المشاعر كانت بنفس تلك الحماسة وتفوقها عاطفة.

وعند الساعة الثانية عشرة والنصف، اقترح كلوديو عليها الذهاب: «هل نذهب؟ آنا أرى ان نعود، فما رأيك انت؟» ونظر في عينيها بإمعان فأومأت بصمت. ودّعا

مضيفيهما أنّا وبيبو، ثم صعدا السيارة الفضية ما زيراتي.» ولم ينطق احدهما بكلمة طوال الطريق إلى البيت، ذلك انه لم يبد ان ثمة حاجة للكلام.

كانت راكيل تتصور في ذهنها كيف ستحدث الأمور، خيّل اليها انه سيقودها إلى غرفة الجلوس حيث يجلسان ويشربان فنجان قهوة يثرثران عن الحفلة والأشخاص الذين تعرفت اليهم.

كان القمر يطل على سطوح القرميد الحمراء للفيلا. تمتمت راكيل وهي تترجل من السيارة: «ما اجملها...» ثم قالت تخاطب كلوديو: «انظر إلى القمر، انه مكتمل تقريباً.»

لم يجب. ربما لم يسمعها، كان هذا ما رأته راكيل وهي تتبعه إلى الباب الأمامي، ربما هو مثلها يتصور جلستهما المقبلة، حيث ان نظرته كانت مبهمة شاردة.

تبعته إلى الردهة، حيث توقعت ان يدخل امامها إلى غرفة الجلوس، ولكن الدهشة تملكتها حين التفت اليها قائلاً: «انني صاعد إلى فراشي مباشرة الآن فقد كان يوماً شاقاً، تصبحين على خير.»

قال ذلك بملامح شاردة باردة كالثلج.

كانت راكيل واثقة من ان وجهها اصبح بشحوب الأموات، واحست بكيانها يتجمد، كانت تتوقع كل شيء إلا هذا، وأخيراً استطاعت ان تقول وقد جفت شفتاها: «تصبح على خير.»

ركض كلوديو نحو السلم، ولكنه ما لبث ان توقف لينظر اليها من فوق كتفه قائلاً: «اظن علينا ان نتناول الغداء غداً مرة أخرى معاً، فقط لنتأكد من ان والدتك وصلها الخبر.»

تنهد متابعاً وكأنه يجد كل هذا الأمر مبعثاً للضيق: «الأفضل ان تأتي إلى مكتبي حوالي الساعة الواحدة.» ثم فجأة كأي رجل غريب تماماً، استدار وأسرع يصعد السلم.

• • •

عندما اصبحت راكيل في غرفتها، اغلقت الباب خلفها وبقيت واقفة مدة طويلة تحدق من خلال النافذة، محاولة ان تستنتج السبب الذي جعلها تفهم الأمور بهذا الشكل الخاطىء.

لقد كانت اخطأت في قراءة الدلائل، لقد خدعت نفسها كلياً، ذلك ان لا شيء تغير بينهما، فكل شيء كما كان قبلاً، وجعلتها هذه الفكرة تشعر بالغثيان والغضب والخزي.

نظرته الجياشة بالعاطفة تلك لم تكن تعني شيئاً على الاطلاق، لا شيء مما جعلتها حماقتها تظنها. وذلك التقارب الجديد الذي حدث بينهما لم يكن سوى من تصوراتها... مجرد اختراعات حمقاء من دماغها.

انها الموسيقى التي أثرت على عواطفها، أو عواطفهما معاً، ولا شك ان عواطفه كانت ستتحرك إزاء أي فتاة أخرى ترافقه إلى حفلة كهذه.

جعلتها هذه الأفكار تشعر بنفسها رخيصة وغاضبة من نفسها، فقد كانت دوماً تعرف صفاته وانه يستمتع بالعبث مع النساء، فكيف تخلت عن حذرها بهذه السهولة؟ وتقدمت عابسة من النافذة تسدل عليها الستائر، تحجب بها صورة القمر الساخر، حسناً هنالك شيء مؤكد وهو ان هذا لن يتكرر بعد الآن.

إذا كان لدى راكيل أية تحفظات بالنسبة إلى حكمها على كلوديو، فهذه التحفظات قد ألقيت جانباً في اليوم التالي.

بعد الإفطار استقلت نفس الباص الذي اخذها في اليوم السابق إلى فلورنسا، وكانت قد شعرت بالإرتياح حين اكتشفت ان كلوديو كان قد غادر المنزل في نفس الوقت الذي استيقظت فيه من النوم، ثم بعد ان أوصلت الملف إلى مكتب محامي دينو، والذي لم يكن بإمكانه تزويدها بأية معلومات عن مكان والدتها ودينو، امضت بقية الصباح في التفرج على معالم المدينة، زارت مصنع الجلود الشهير حيث اشترت بعض الأشياء والهدايا التذكارية لتأخذها إلى الوطن وهكذا أمضت ساعتين نسيت اثناءهما كلوديو تقريباً، وذلك في غمرة تجوالها بين روائع المدينة، هذا تقريباً وليس تماماً، ذلك ان ذكراه كانت تقفز إلى ذهنها حين لا تتوقع ذلك مثل ان تحدق في منحوتة عمرها مئات السنين، عندما تكتشف فجأة ان افكارها بعيدة اميالاً عديدة وانها لا تفكر في المنحوتة، في الواقع، أو حتى تنظر اليه، بل كانت تحلم بكلوديو والطريقة التي كان ينظر فيها اليها الليلة الماضية.

في الواقع كانت حقارة لشأنها ان تظل تتذكره. اتريد حقاً ان تكون واحدة من تلك النساء اللاتي يتلهفن له؟ إحدى تلك الانتصارات التافهة له ليضيفها إلى قائمته؟

كلا، هذا لن يكون... حدثت نفسها بذلك وهي تنتهي من جولتها في مصنع الجلود ورصّت مشترياتها في حقيبتها، لقد افزعتها هذه الفكرة حقاً، كيف سمحت لنفسها بأن تعجب بمثل هذا الرجل الكريه؟

ألقت نظرة سريعة على ساعتها فرأتها قبل الواحدة

مباشرة. لقد حان الوقت لكي تتجه إلى حيث مكتب كلوديو، ان عليها ان لا تنسى موعد غدائهما الزائف.

نظرت إلى الطريق في خريطتها، ثم انطلقت بخطوات حاسمة وقد امتلأ قلبها عزماً، الآن وقد انتظم تفكيرها لن تجد صعوبة على الاطلاق في معالجة الوضع مع كلوديو كما ينبغي، الليلة الماضية اصبحت خلفها اما اليوم فكل إيماءة أو إشارة منها ومنه أيضاً، ستكون زائفة مائة بالمائة.

وصلت إلى الباب الرئيسي للمكتب وكانت على وشك ان تقرع الجرس عندما انفتح الباب فجأة وخرج منه فتى بدا من مظهره وكأنه خارج لتناول الغداء، لا بد انه من موظفي كلوديو، كما رأت راكيل، من الذين يعملون في الطوابق السفلية في المرسم.

قالت له وهي تراه يتردد في السماح لها بالدخول: «لقد جئت لرؤية السيد كلوديو ديلانجيلو. وهو بانتظاري.»

عند ذلك ابتسم الفتى قائلاً: «لا بأس.» ثم تنحى جانباً ليسمح لها بالمرور وهو يشير إلى المصعد قائلاً: «ستجدينه في الطابق الأعلى.»

دخلت إلى المصعد وضغطت الزر الأعلى، وقد تملكها شعور رائع بالبرودة والهدوء وضبط النفس، لن يتمكن كلوديو من تكديرها بقول أو فعل هذا النهار، أو يحملها على التصرف دون حكمة، بأي شكل كان. انه لن يستطيع خداعها مرة أخرى. وهي ستمثل دورها وهذا كل شيء، لن تكون هناك هفوات بعد الآن، فهي على أعلى درجة من ضبط النفس الآن.

هذا إلى ان الهفوات لا يمكن ان تحدث على أي حال، خصوصاً الآن بعد ان قامت بمهمة ممتازة في تذكير نفسها بمبلغ كرهها له. وقف بها المصعد في الطابق الأعلى حيث انفتح بابه دون صوت، فخرجت منه إلى ان وقفت امام باب المرسم. وما ان رفعت اصابعها لتقرع الجرس، حتى انفتح الباب فجأة، كما كان حدث في الطابق الأسفل.

وإذ لم يكن يتوقع رؤيتها، مضت لحظة لم يرها اثناءها، ولكن راكيل وهي تقف جامدة في مكانها، استطاعت رؤيته جيداً، كما استطاعت ان ترى بوضوح تلك الشقراء الرائعة الجمال بجانبه وهما ينظران الواحد في عيني الآخر ضاحكين.

ما ان وقعت نظرات راكيل عليهما حتى زلزلت الأرض تحت قدميها، وسقط السقف على رأسها، ثم وقفت جامدة دون ان تستطيع حراكاً، ثم رآها كلوديو.

«آه، ها قد وصلت.» قال ذلك بلهجة طبيعية، وضبط كامل للنفس، تنحى جانباً وهو يبتسم لكي يدعها تمر إلى داخل المرسم، وهذا ما فعلته، بينما كان هو يتابع قائلاً: «ادخلي واستريحي وسأكون معك بعد لحظة.»

ثم خرج إلى المصعد آخذاً الشقراء الجميلة معه وهو يغلق باب المرسم خلفه قليلاً.

• • •

كانت راكيل تجلس على شرفة المطبخ تكتب بطاقات بريدية. ولكن رغم انها كانت امضت ساعة في هذا العمل، إلا

انها لم تنه نصف الكمية التي امامها، ذلك انها لم تنس تماماً ذلك الوقت الذي أمضته في تناول الغداء.

لقد تملكها الرعب وهي ترى نفسها هذا النهار غير قادرة على تمثيل دور الحبيبة... فقد كانت صورة كلوديو بجانب تلك الفتاة مرتسمة امام عينيها على الدوام... رغم ان كلوديو كان قد حول انتباهها عن عذابها هذا مرة واحدة عندما قال لها: «إذا لم يكن لديك مانع سنذهب فقط لنتناول البيتزا.» وكان ذلك عندما عاد إليها في المرسم. «ذلك لأن وقتي قصير إذ عليّ ان أرى زبوناً الساعة الثانية والنصف.»

«ولماذا أمانع؟» ألقت اليه بهذا الجواب، وهي تفكر في انه كلما كان الوقت الذي تمضيه قليلاً، كلما كان ذلك افضل، خصوصاً حالياً، لأنها كانت تغلي في داخلها.

اخذها كلوديو إلى مطعم للبيتزا في شارع لانفارنو وهو الذي يمر بمحاذاة النهر آرنو. ورغم ان راكيل اصيبت بخيبة الأمل إذ كانت تتوقع ان يكون تناول الطعام سريعاً، فقد جلسا إلى مائدة في انتظار ان يفرغ الطاهي من تحضير ما طلباه في الحال.

قالت له راكيل بشيء من الحدة: «هل انت واثق من ان لديك الوقت الكافي؟ فأنا لا اريدك ان تتأخر عن زبونك.»

من ترى تلك الشقراء تكون؟ كانت راكيل تحملق في كلوديو وهي تتساءل عن ذلك. وكذلك كم من النساء لديه بالضبط؟ لم تكن والدتها تمزح حين كانت تقول ان لديه فرقة منهن.

كان كلوديو هادئاً تماماً إزاء حدتها تلك، فقال يطمئنها:

«لا تقلقي، سأعود في الوقت المناسب.» ونظر حوله بسرعة. «هذا المكان يكون عادة مزدحماً جداً وقت الغداء، ولا بد ان يرانا أحد.»

ولسبب غير منطقي شعرت راكيل بالإهانة لذلك، فهو لا يأخذها إلى أي مكان إلا لأجل التمثيل امام الآخرين.

رأت نفسها وقد فارقها التعقل والمنطق، مع علمها بأن معرفتها بذلك لن تخفف عنها، ولكنها شعرت بالذعر وهي ترى نفسها تقول: «هل تلك الفتاة التي كانت معك في الستوديو هي زبونة؟» وكان المذهل اكثر من السؤال نفسه هو اللهجة التي سألته بها. فقد كانت الكلمات لا يتخللها السخرية بقدر ما يتخللها السم.

فالتفت اليها يقابل نظراتها لحظة: «زبونة؟ لماذا تسألين؟»

خفضت بصرها لحظة، وقد تملكتها التعاسة، شاعرة بالكراهية لتصرفها هذا، ولكنها لم تستطع ان تمنع نفسها من إفراغ السم الذي في داخلها، فقد كان أشبه بحسكة عالقة ي حلقها، فهي لا ترتاح إلا إذا لفظتها بعفوية، ولكنها كانت تشك بنجاحها وهي تقول: «فقط كنت اتساءل. ثم انك لم تعرفنا إلى بعضنا البعض.»

فابتسم لارتباكها هذا: «كلا، لم افعل، وهذا تقصير بالغ مني، ان اسمها ليزا، مادام هذا يهمك كثيراً.»

فقالت متهكمة: «ان هذا لا يهمني كثيراً، لكن خطر ذلك ببالي فقط وقد اندهشت انك لا تعرفني بمن تبدو انها صديقة حميمة.»

فهز كتفيه باسماً وقد بدا وكأنه يستمتع بهذا الحديث:

«وهل هي تبدو صديقة حميمة؟ اظنك على صواب ولكن...» واضاف بلامبالاة فيها شيء من الحقد: «معظم زبوناتي الجميلات منهن على الأقل يملن إلى ان يكنّ صديقات حميمات.»

ثم اضاف والنادل يحضر لهما البيتزا التي كانا أمراً بها: «ولكن لا تقلقي ففي المستقبل سأراقب تصرفاتي، وبالتأكيد سأعرفك اليهن في المرة القادمة.»

فقالت وهي تقطع البيتزا امامها بالشوكة والسكين وكأنها تنتقم منها تلومها لكل ما حدث، قالت: «ارجوك ان لا تهتم بذلك.» وكانت شاكرة في الواقع، لتوقف الحديث، فقد كان على وشك الخروج من سيطرتها، ومن يعلم إلى أين سينتهي؟ خصوصاً كما اخذت تفكر الآن اذا كانت خرجت عن طورها لسبب ما، لقد كانت في خطر ان تجعل من نفسها معتوهة.

وتناولت بطاقة بريدية أخرى من التي الى جانبها، ثم اخذت تكتب عليها لحظة، ما الذي حدث لها يا ترى؟ انها لم تتصرف بهذا الشكل قط من قبل، ومن أين أتت كل هذه المشاعر المضطرمة؟ الغضب، الإستياء، العنف الأعمى، وذلك الاحساس بسكين يمزق احشاءها؟

إنه فقط هذا الوضع الذي وجدت نفسها فيه، حدثت نفسها ساخطة، وهي تبدأ بكتابة رسالة قصيرة على قفا البطاقة البريدية، لشد ما اكره ان اكون مرغمة على التعامل مع كلوديو، فكل شيء فيه يبدو لي كريهاً، ثم وكأنما لا يكفي ان اشترك معه في هذه التمثيلية، قد اخذ يتباهى امامي بجاذبيته للنساء. فلا عجب ان اشعر بالتكدر لهذا.

لكن على الأقل، كانت فترة الغداء التي امضياها معاً هذا النهار، قصيرة بالمقارنة إلى غداء أمس.

كانا قد خرجا من المطعم بعد الساعة الثانية والربع، عندما سألها متصنعاً الاهتمام: «ما الذي تنوين عمله الآن؟ ان كل المحلات مقفلة ولن تفتح قبل ساعة على الأقل، بإمكانك إذا شئت ان تعودي معي إلى المرسم لقتل الوقت. لا بد ان نجد مكتباً خالياً يمكنك ان تجلسي فيه.»

«اشكرك لهذا العرض، ولكن كلا، شكراً.» كانت راكيل قد ردت عليه بذلك لأنها كانت سبق وقررت ما ستفعل، وهذا حتماً لا يتضمن التسكع حول مرسم كلوديو. وتابعت تقول: «انني سأتمشى إلى سان منياتو حيث هناك مناظر رائعة استمتع برؤيتها.»

«انه طريق طويل ولكنه يستحق العناء، حسناً استمتعي بوقتك. وإلى اللقاء في الفيلا هذا المساء.»

كان الحق معه. فقد كان الطريق طويلاً إلى تلك المناظر الأثرية التي يعود تاريخها إلى القرن الحادي عشر، وكان معه حق أيضاً عندما قال ان المنظر يستحق العناء.

وهكذا أمضت راكيل وقتاً ممتعاً عادت بعده إلى الفيلا بعد الساعة السادسة بالضبط، وها هي ذي الآن تحاول ان تنهي كتابة بطاقاتها البريدية، ورغم اتجاه افكارها في كل ناحية، فقد نجحت في ذلك نوعاً ما.

حدثت نفسها بأنها قد نجحت نوعاً ما، رغم كل شيء، هذا بينما كانت تنهي لصق طابع البريد على بطاقة انهت كتابتها لتوها، لتتناول أخرى.

«إذن فأنت هنا، ظننتك لم تعودي بعد.» لم ترفع راكيل

بصرها، ولكن قلبها اخذ يخفق عندما سمعت صوت كلوديو يتحدث فجأة من عتبة الباب خلفها.

«لقد عدت منذ ساعة تقريباً.» قالت ذلك وهي تتصنع التركيز على بطاقاتها.

«أراك تكتبين لأصدقائك في الوطن.» وتملكها الضيق والإستياء وهي تراه بدلاً من العودة إلى الداخل، يتقدم إلى الأمام ليقف بجانبها عند المنضدة حيث كانت تجلس وهو يسألها: «هل استمتعت برحلتك إلى سان منياتو؟»

«كانت رحلة جميلة.» قالت ذلك بلهجة حادة، لماذا لا يتركها هذا الرجل الوغد بسلام؟

«اظنك ذهبت بعد ذلك وتناولت القهوة في مقهى ميكيل انجلو؟»

قال ذلك وهو يجلس على كرسي قبالتها، لا لشيء إلا لإزعاجها، كما فكرت ركيل، «كلا، في الواقع انا لم اذهب.»

مازالت لم تنظر إليه، الحقيقة كانت انها عندما انتهت من التفرج على المباني الأثرية، قامت بالعمل الطبيعي وهو الذهاب إلى المقهى، والذي كان على بعد خطوات فقط، بنيّة تناول فنجان قهوة، وإذا بمشاعر غريبة جداً تتملكها عندما وجدت نفسها قد عادت إلى نفس البقعة التي كان كلوديو احضرها إليها منذ ليلتين فقط.

كان قلبها قد اخذ في الخفقان شاعرة بالدوار وضيق التنفس، وقد اصبحت قدماها ثقيلتين بشكل فجائي وكأنها كانت تخطو في اسمنت مبتل، لقد ألقت نظرة واحدة على منحوتة، ثم حولت نظراتها عنه، كان الأمر غريباً. لقد تملكتها حقاً احاسيس غاية في الغرابة.

لا بد ان السبب هو سيرها الطويل، والجو الحار، حاولت ان تقنع نفسها بذلك وهي تركض تقريباً لتلحق بالباص الذي كان على وشك ان يغادر المحطة إلى المدينة. ولكنها كانت تعلم ان ذلك التعليل غير صحيح، وان هناك شيئاً آخر جعلها تتصرف بذلك الشكل الغريب.

لكنها فضلت ان لا تبالغ في تحليل مشاعرها، وحالما شرع الباص في السير، ابتدأت تشعر بالتحسن. والآن وهي تبقي رأسها منحنياً اخذت تكتب البطاقات بعجلة، تكافح بذلك ذكريات تلك اللحظة في ذلك المقهى.

قالت متمنية ان يتركها كلوديو: «انني مشغولة، فأنا أريد ان انهي هذه البطاقات.»

ألا يرى ان ليس لديها أية رغبة في صحبته أو التحدث إليه؟

«هذا ما أراه. إلى من تكتبين؟»

لم يردعه كلامها لحظة واحدة، فهو عنيد لا يؤثر به أي إشارة.

«إلى شقيقي، إلى اصدقائي، إلى زملائي في العمل.»

اخذت تردد هذه القائمة بضيق بالغ.

«ولمن تلك البطاقة... تلك التي تكتبينها الآن؟ يبدو انك تكتبين الكثير عليها.»

توقفت راكيل عن الكتابة لحظة، ثم اخذت تحدق في ما كانت تكتبه. كانت هذه البطاقة لصديقتها أبيغيل رغم انها لم تكن قد وضعت العنوان بعد، وكالعادة، حيث ان أبيغيل كانت تحب الأخبار، فقد ضمنت البطاقة ضعفي ما كتبته للآخرين.

لكنها ودون تفكير رفعت نظرها اليه وقالت بلهجة

متوترة، مقاومة الطعنة التي شعرت بها في قلبها وهي تنظر في عينيه: «ما دمت فضولياً إلى هذا الحد، فهذه البطاقة اكتبها لمارك.»

«مارك؟ حبيبك؟» وابتسم وهو يقول ذلك. «وما الذي كتبته لمارك؟»

«هذا وذاك... الكتابة العادية.»

ابتلعت ريقها، وهي تشعر بفمها يجف فجأة كما شعرت بقلبها يكف عن الخفقان. حدث كل هذا في نفس اللحظة التي نظرت فيها إلى عيني كلوديو، وكان شعوراً لا يختلف عن ذلك الذي تملكها في المقهى. إذ حالاً ضاق تنفسها وتملكها شعور غريب.

حولت عينيها عن عيني كلوديو بسرعة، وقد تملكها الألم بشكل غير عادي، وهي تحاول كبح هذه المشاعر، ومحاولة كذلك تجاهل ما بدا على ملامحه من تهكم كدرها اكثر من أي شيء آخر. لم تقل سوى ان البطاقة كانت لمارك وذلك لكي توقفه عند حده، لكي تجعله يعلم انه لا يعني شيئاً لها، ولكن لم يبد عليه انه وقف عند حده، بل بدا واضحاً عدم اكتراثه التام وهو يكرر كلامها ساخراً: «هذا وذاك؟» وسكت قليلاً ثم سألها: «هل اخبرته عنا؟»

«عنا؟» عادت تنظر اليه وقد تمالكت نفسها بعناية وهي تتابع: «وماذا هناك اخبره عنا؟»

«عن ترتيبنا الذي اتفقنا عليه هذا، لا بد انك حدثته عنه.»

«لا اظن هذا ضرورياً، سأخبره عندما أراه، لا فائدة من كل هذه التفاصيل المملة الآن.»

«وهل سيراها مملة؟»

«لا اظنها هامة كثيراً.»

تمنت لو ينتهي من هذه الأسئلة وهي تتابع قائلة: «وعلى كل حال فهي لا شيء سوى مسرحية سخيفة.»

«ربما، ولكن لو كنت انا مكانه، لأردت حتماً ان اعرف، في الواقع سأكون مجنوناً، إذا لم اعلم.»

ومد يده إلى دفتر العناوين الذي كان على المنضدة قرب مقعده، واخذ يقلب صفحاته دون ان تترك عيناه وجهها لحظة واحدة.

ثم ابتسم فجأة وقد بدت في عينيه نظرة متحدية ذات معنى: «ولكنني اعلم السبب في انك لم تخبريه، انك لم تخبريه لأنه لا يهمك في الحقيقة. فهو مجرد صديق عادي هيا اعترفي بذلك، انا اعرف انني على صواب، فأنت لا تحبينه حقيقة.»

هل هذا ما يظنه إذن؟ ونظرت إليه لحظة. حسناً هذا يفسر السبب في ان أي ذكر منها لمارك لم يكن يزعجه. رغم ان ذلك أمر مضحك، إذ لماذا يزعجه؟ فهو لا يهتم بها، كل ما يريده هو الظهور معها في مختلف الأمكنة.

وشعرت بشيء يقبض قلبها. يجب ان لا يكون هنا مزيد من العبث، ربما لو كانت تصرفت وكأن لديها في الوطن صديقاً تحبه، لما حدث مثل هذا العبث الأحمق، منذ البداية، واستقامت في جلستها، لقد حان الوقت لكي تضعه عند حده: «انك مخطىء كلياً، ذلك ان مارك ليس صديقاً عادياً على الاطلاق، فأنا وهو نعرف بعضنا منذ سنوات.» وسرها من نفسها ان كانت تتحدث بصوت هادىء واثق.

«منذ سنوات؟»

«نعم، منذ سنوات.»

«هذا أمر هام حقاً.» واخذ يتابع تقليب صفحات الدفتر «وتقولين انني مخطىء؟ وانها ليست مجرد علاقة عادية؟»

«نعم، انك مخطىء كلياً.» نظرت اليه بثبات، دون ان تفضح إشارة واحدة هذه القصة المختلفة التي كانت تلقمه إياها، ان ذلك من باب صيانة النفس، وكان عليها ان تقوم بذلك.

قالت: «انني في الواقع انوي الزواج منه.»

«تتزوجينه حقاً؟ حسناً، هذا إذن يعني تحولاً في الأمور.»

وللحظة خاطفة بدا وكأن ظلاً عبر ناظريه، شيئاً بدا وكأنه غيمة صعدت من اعماقه، ولكن بعد لحظة أدركت راكيل ان هذا كان من تصوراتها عندما ابتسم وألقى بدفتر العناوين على المنضدة نحوها قائلاً: «في هذه الحالة، اتمنى لكما السعادة.» ثم ادهشها وهو يقف ويقول مغيراً الموضوع: «والآن اخبريني ما هو البرنامج لهذه الليلة؟»

عادت تحول انتباهها إلى بطاقاتها وهي تتأفف فارغة الصبر، محاولة السيطرة على الطريقة التي كان يخفق فيها قلبها في صدرها، لم يحدث قط في حياتها ان كذبت بهذا الشكل الشاذ، وقالت بهدوء: «ليس لدي شك في انك سبق وأعددت شيئاً من العذاب، أراك تتوقع منا ان نتابع هذه المسرحية.»

كان هذا شيئاً قد اتخذته أمراً مسلماً به، ولكن كلوديو ادهشها مرة أخرى بقوله: «كلا، انا لا اتوقع ذلك، في الحقيقة.»

فقالت وهي تنظر اليه: «احقاً؟ هذا خبر طيب.»

فابتسم يجيبها: «علمت انك ستسرين لذلك.» ثم اضاف وهو يراقبها: «لدي خبر أحسن، فأنا لن اكون هنا وستكون الفيلا لديك وحدك هذه الليلة، ذلك ان لدي موعداً للعشاء في مكان آخر.»

نظر إلى ساعته، ثم اتجه نحو الباب: «سأتركك لبطاقاتك الآن، بينما اصعد انا لأستعد للذهاب.»

كانت راكيل سعيدة جداً بهذا الترتيب، أو هذا على الأقل ما حدثت به نفسها بينما تنهمك في تحرير بطاقاتها، ذلك ان ذهنها لم يكن في عملها. فقد كانت تتساءل عمن تراه سيذهب معها إلى العشاء؟

لا بد انها امرأة جميلة بشكل خاص. وجدت نفسها تصل إلى هذا القرار وهي تراه يعود بعد نصف ساعة بينما كانت هي تبحث في المطبخ عن شيء تأكله.

كان يرتدي بذلة زرقاء أنيقة للغاية وقميصاً ناصع البياض وربطة عنق حمراء، لم يكن له سوى وصف واحد، وهو انه صاعق الوسامة والأناقة، لقد كان يبدو وكأنه يملأ الجو حوله إشراقاً، وبالمثل لم يكن هناك سوى وصف واحد لمشاعر راكيل وهي تقف عند الثلاجة المفتوحة تنظر إلى وجهه، شاعرة بالغثيان وهبوط المعنويات كلياً.

قال باسماً: «لقد جئت لأقول انني خارج، لا تنتظريني لأنني سأتأخر.» ثم استدار على عقبيه ليخرج.

ربما كان قوله الساخر لا تنتظريني هو ما سبّب لها الانفال، أو ربما كانت تلك الابتسامة البالغة الرضا على وجهه، ولكن ما ان كان على وشك الخروج، حتى وجدت

نفسها تصيح خلفه بلهجة الاتهام: «لا شك انك ستتناول العشاء مع تلك المرأة الشقراء... تلك التي كانت في مرسمك، أليس كذلك؟»

فوقف واستدار ينظر إليها: «كلا، ليس معها.» وبدا عليه شيء من الدهشة لانفعالها هذا.

كانت راكيل مدهوشة هي أيضاً، كما تملكها الذعر، ولكنها رغم كل ذلك لم تسكت. «ولكن موعدك هو مع امرأة، أليس كذلك؟ من هي تلك المرأة؟ هل هي كيرستين؟»

«كلا، ولا كيرستين، ولكنك على صواب في ان من سأتناول العشاء معها هي امرأة.» ثم نظر في وجهها يسألها وقد رفع حاجبيه: «ولكن ما هي القضية؟ يبدو ان لديك اعتراضاً.»

شعرت بالخزي يسحقها لما تقوم به، وعندما نظرت إليه ورأت التهكم في نظراته، أدركت ان لديه كل الحق في هذا التهكم.

حاولت إنقاذ الموقف بقولها: «ليس لدي أي اعتراض، كل ما في الأمر هو انني لا أرى ظهورك بين الناس مع امرأة أخرى هي فكرة حسنة بينما المفروض انك تتظاهر بوجود علاقة لك معي.»

كان هذا منطقياً ولكن صوتها كان ضعيفاً هشاً إلى حد لم تكن كلماتها واضحة.

فاتسعت ابتسامته وهو يقول: «وهل هذا ما يقلقك؟» أحست راكيل بأنه يعلم جيداً بأن هذا ليس سبب قلقها على الاطلاق، وكان هو يتابع قائلاً: «لا تهتمي بذلك فهذا لن يضر بمسرحيتنا الصغيرة، فكل شخص يعرف تصرفاتي، وانه لم

يكن لديّ قط امرأة واحدة في نفس الوقت، كل ما سيفعله في ذلك هو اضافة بعض البهارات.»

ثم عاد ينظر إلى ساعته: «الأفضل ان لا أتأخر.» وبعد ذلك بلحظة كان قد خرج إلى الردهة.

وقفت راكيل في مكانها لحظة، شاعرة بالذعر الكلي من نفسها، كيف حقرت نفسها بالتحقيق معه بهذا الشكل؟

انها لا تهتم بمن سيتناول العشاء معها، فهذا لا يهمها مثقال ذرة، حتى ولو تناول عشاءه مع كل فتيات توسكاني، وصفقت باب الثلاجة بعنف، وهي تهتف ساخطة: «لشد ما اكرهه.»

ثم غطت وجهها بيديها، وانفجرت باكية.

الفصل السابع

لم تتوقف راكيل عن النشيج إلا بعد أكثر من عشر دقائق. لقد وقفت مكانها ويداها تغطيان وجهها، بينما يرتفع شهيقها، ودموعها تنهمر على وجنتيها. ثم صعدت إلى الطابق العلوي متعثرة، لتتهالك على سريرها، ثم تأخذ في التحديق بنظرات تائهة، إلى الجدار الأبيض أمامها. لم تشعر في حياتها قط من قبل، بمثل هذا الانهاك والانهيار البالغين.

لم يعد ثمة فائدة من مداومة الانكار. فهذه الاعراض التي تعاني منها ليس لها سوى معنى واحد.

فيض المشاعر الذي يتملكها في كل مرة تنظر فيها إليه. والطريقة التي تتجاوب فيها مع نظراته العاطفية... وهذه الأحاسيس التي تملكتها عصر هذا اليوم في المقهى... خيبة أملها الليلة الماضية عندما لم يحدث بينهما شيء بعد الحفلة... والآن هذه الغيرة المجنونة التي تشعر بها والتي تشعر بها كسكين مغمد في أحشائها...

كل ذلك لم تكن تستطيع احتماله ولا السيطرة عليه.

حاولت أن تنكر هذا، ولكنها لم تعد تستطيع ذلك بعد الآن. ذلك أنها، ولتعاستها البالغة، قد وقعت في غرام كلوديو.

تنهدت راكيل وهي تلقي بنفسها على غطاء السرير المطرز. كيف حدث هذا؟ لا بد أنها مجنونة. فالوقوع في غرام رجل مثل كلوديو هو بمثابة تذكرة إلى التعاسة.

غطت وجهها بيديها بيأس. كان عليها أن تنتبه إلى هذا الغرام وهو يدخل إلى قلبها. كان عليها أن توقفه بأيّ شيء وذلك قبل أن يصل إلى هذا الحدّ... ذلك أن الوقت قد فات الآن. فهذا ليس حباً في مرحلة البداية. وإنما هو غرام عنيف ساحق... شيء حقيقي ملموس، وهي بعده لن تعود إلى ما كانت عليه مرة أخرى، أبداً.

أغمضت راكيل عينيها وتركت الحزن يكتسحها. ولكن، أليس من المفروض في الحب أن يكون مبهجاً؟ منعشاً؟ سعيداً؟

نعم، هذا إذا كان الحب هو للشخص المناسب، وليس العكس الذي يقضي عليها بمستقبل دون أمل.

كانت الدموع تسيل من عينيها مبللة غطاء السرير. كان الأمر يدعو إلى السخرية حقاً. فكل هذه المشاعر منها نحو كلوديو كانت مفقودة في علاقتها بمارك.

وتنهدت بمرارة. حسناً، لقد عثرت الآن على كل هذا، فبماذا أفادها ذلك؟ وفكرت بحزن أنه لم يفدها بشيء. كل ما فعله بها هو تمزيق قلبها إلى أشلاء.

تقلبت في سريرها تدفن وجهها بين ذراعيها وهي تعنف نفسها، كيف أمكنها ذلك؟ كيف؟ ما هذا الجنون الذي دفعها إلى الوقوع في غرام رجل تعلم أنه لا يستطيع مبادلتها حبها بمثله.

لماذا، وقد اعترف بنفسه بأنه رجل عابث يهوى الغزل النساء.

ارتجفت وهي تتذكر ما كان قاله هذه الليلة، كلمة كلمة. (إن كل شخص يعرف تصرفاتي وأنه لم يكن لديّ قط امرأة

واحدة في نفس الوقت.) وهذا هو الرجل الذي ضيّعت قلبها عنده.

وأخذت تتساءل عما يحدث الآن في موعد العشاء الذي ذهب إليه؟ اغمضت عينيها بعنف، ولم تجرؤ على التفكير في ذلك. كان التفكير يجعلها تشعر وكأنها تموت.

وأخذت تضرب بقبضتها غطاء السرير بعنف وهي تصرخ باكية بيأس، متمنية من كل قلبها لو كان كلوديو هو الذي تضربه.

• • •

بعد ذلك بساعة تقريباً، استجمعت راكيل شتات نفسها.

إنه لا يستحق ذلك... هذا ما أخذت تقنع به نفسها. كما أنها لا تستحق كل هذا العذاب. فهي ستغتسل الآن، ثم تنزل إلى المطبخ تبحث عن شيء تاكله.

ارتدت معطفها المنزل الأزرق، ثم نزلت إلى المطبخ حيث أخذت تبحث في انحاء الثلاجة ومع أنها لم تكن جائعة في الحقيقة، حيث أن شهيتها كانت خمدت، إلا أنها وضعت في الطبق بعض الجبن والسلطة، ثم خرجت إلى الشرفة الأمامية لتاكلها.

كان القمر بدراً، وكان يغرق بأشعته بساتين الزيتون والتلال المكسوة بغابات الصنوبر وأخذت راكيل تمضغ الطعام الذي لم تكن تجد له مذاقاً وتحدق في المناظر المترامية أمامها. كان من المحزن، بشكل خاص، أن تشعر بالتعاسة في مثل هذا المكان. كان مكاناً مليئاً بالسعادة والبهجة وسكينة النفس. وليس لهذه التعاسة التي تشعر بها.

لكن كيف لا تشعر بالتعاسة والقنوط وهي تعلم ما يفعله كلوديو الآن؟ وشعرت بالدموع تملأ عينيها مرة أخرى، لكنها قاومتها. إنها لن تذرف دمعة واحدة عليه بعد الآن.

وفي تلك اللحظة، تعالى رنين جرس الهاتف.

وضعت راكيل الشوكة من يدها ثم نهضت واقفة، حيث أخذت تسير متمهلة إلى غرفة الجلوس. إذا كان المتكلم إحدى صديقات كلوديا فليس لديها متسع من الوقت للحديث إليها.

رفعت السماعة: «آلو؟» وإذا بالسماعة تسقط من يدها.

«راكيل، ما هذا الذي اسمعه عنك وعن كلوديو؟»

كانت أمها هي التي تتكلم بصوت جعلها تبدو وكأنها سيغمى عليها: «أخبريني أن هذا ليس صحيحاً، فأنا لا استطيع تصديقه. ابنتي أنا! راكيل! ما الذي كان يحدث؟»

حاولت راكيل أن تبقى هادئة، ولكن نبضات قلبها أخذت تتسارع فجأة. ففي اللحظة التي نطقت أمها باسمه، خفق قلبها حباً وألماً.

فأجابت شاعرة باللهفة والتشوّش: «ما الذي تتحدثين عنه، يا أمي؟»

«ما الذي اتحدث عنه؟ انني أتحدث عن كل هذه القصص التي اسمعها، عنك وعن ذلك الفاسق المتهتك ابن أخ دينو. لقد أخبروني أنهم شاهدوكما في حفلة معاً تتصرفان بشكل بعيد جداً عن الحشمة. ورأوكما تتناولان العشاء معاً. حتى انهم أخبروني أنك زرته في مرسمه. ما الذي يحدث يا راكيل؟»

وبدا صوتها الآن حافلاً بالقنوط.

«لا شيء يحدث يا أمي.» ولكن كان ثمة تهدج في صوت

راكيل وهي تقول هذا. إنه تهدج الندم والألم والخيبة. وكان انكارها غير مقنع على الاطلاق.

احست والدتها بما تشعر، فهتفت بها: «بل هنالك شيء يحدث. آه، يا راكيل ما الذي فعله بك؟ آه ما افظع هذا. حتى انه اسوأ مما كنت أظن.» وقبل ان تتفوه راكيل بكلمة، أسرعت تقول لها: «اسمعي، إننا عائدان حالاً. فلا تفعلي شيئاً قبل أن نصل إليك. وسنكون عندك غداً بعد الظهر على الأكثر.»

«لا حاجة بكما للإسراع.» أحست راكيل بأن ما كان لها أن تقول ذلك. فقد كانت الخطة هي ان تحث أمها ودينو على العودة، وليس العكس. ولكن تفكيرها لم يكن صافياً، وعادت تصر قائلة: «لا حاجة بكما لذلك على الإطلاق.»

لكن أمها لم تكن تهتم بكلامها على كل حال. وهي تقول بذعر: «لا حاجة بنا لذلك؟ يبدو أنك ارسلت عقلك في اجازة حسناً، ابقي كما أنت فقط وسنراك غداً وفي نفس الوقت أرجوك أن تبقي بعيدة عن ذلك الرجل.»

حسناً، لا مشكلة في ذلك... أخذت راكيل تفكر بذلك بمرارة وهي تضع السماعة من يدها ثم تحدّق فيها لحظة. ثم تنهدت. يبدو أن حيلة كلوديو قد نجحت رغم تمثيلها الزائف ذاك في الهاتف منذ لحظات. وحدثت نفسها بأن هذا حسن، لأنه سيكون فيه نهاية محنتها. إن بإمكانها الآن أن تشرع في اخراجه من حياتها... وهذه مهمة لا يمكن ان تتحقق إذا استمر يتسكع حولها. رغم أنها كانت تشعر أن هذه لن تكون بالمهمة السهلة حتى ولو خرج من حياتها.

عادت إلى الشرفة وتناولت سلطتها، ثم جلست تحدق في البدر وهي تسكب لنفسها فنجان قهوة. إنها ستنتظره

وتخبره بالذي حصل. ولا شك أنه سيكون أكثر سروراً منها.

جاوزت الساعة منتصف الليل وما زال كلوديو لم يعد بعد. حسناً، إنها لم تكن تتوقع عودته باكراً، على كل حال. وأخذت تحدّق في القمر، والذي كان قد توارى تقريباً خلف غيمة بيضاء، ثم حاولت جهدها أن لا تتصور ما يمكن أن يكون شاغلاً كلوديو، الآن.

حدثت نفسها بأنها لا تهتم به على كل حال. فليفعل ما يريد، فإن هذا لا يهمها مثقال ذرة.

في تلك اللحظة، تناهى إلى سمعها صوت هدير منخفض مألوف هو لسيارة كلوديو مازيراتي والتي كانت تقترب من الفيلا. ودون وعي منها، استقامت في جلستها وقد أخذ قلبها يخفق بشكل مفاجيء.

نزل كلوديو من السيارة، ثم اتجه نحو المنزل، واضعاً سترته على ذراعه بينما أخذت هي تنظر إليه، عالمة بأنه لا يراها لأنها كانت تجلس في ظلام كامل تقريباً، بينما كان خفقان قلبها بين ضلوعها يتسارع بشكل أحمق.

جعلتها طريقة سيره، برأسه المرفوع، وكتفيه العريضتين، وساقيه الطويلتين... جعلتها تشعر بطوفان من المشاعر. لم يكن مضى على رؤيتها له، لآخر مرة، سوى ساعات فقط، ولكنها شعرت لرؤيته مرة أخرى ببهجة بالغة تتملكها.

وإذا به يراها فجأة، وكان على وشك الإتجاه نحو الباب الأمامي، عند ذلك استدار ليرتقي الدرجات المؤدية إلى الشرفة حيث كانت تجلس.

«لماذا تجلسين في الظلام؟»

«لم أزعج نفسي بإشعال النور.»

«نعم، هذا ما أراه.»

مرّ بجانبها بسرعة نحو مفتاح النور، وسرعان ما غمر الضوء المكان.

فقال: «هذا أحسن الآن، والآن يمكن لكل منا أن يرى محدثه.»

لم تكن راكيل واثقة من رغبتها في رؤيته بمثل هذا الوضوح. أخذت ترمش بعينيها في الضوء المفاجىء، ثم أخذت رشفة من قهوتها وعيناها تتجنبانه.

سألته: «هل أمضيت سهرة ممتعة؟»

فأجاب: «ممتعة للغاية، في الواقع. شكراً.» وتقدم ليجلس على أحد الكراسي التي تحيط بالمنضدة التي كانت تجلس هي إليها. بعد أن القى بسترته على ظهر كرسي آخر، ثم نظر إليها يسألها: «وأنت؟ هل أمضيت سهرة ممتعة، كذلك؟»

«كانت سهرة رائعة.» والتفتت إليه باسمة، مسرورة لتمكنها من الكلام بصوت مرح.

فقال وهو يفك ربطة عنقه ثم يلقي بها على سترته التي على ظهر الكرسي، قال: «إنني مسرور لسماع ذلك، فقد كنت أشعر بشيء من القلق خشية أن تشعري بالسأم لجلوسك وحدك.»

فكرت ساخرة في أنه حقاً كان قلقاً عليها ولكنها لم تقل هذا فلم تكن بها حاجة لذلك. فهما الاثنان يعلمان انها تخيلات لا صحة لها وبدلاً من ذلك سألته: «ولماذا أشعر

بالسأم؟ الناس السطحيون هم فقط الذين يشعرون بالسأم عندما يمضون الوقت بمفردهم.»

فابتسم كلوديو لذلك وأجاب: «فهمت. إنك إذن لا تعانين من السطحية.»

«إنني بعيدة عن ذلك، وبالعكس، فأنا استمتع بالوحدة، إذ لديّ حياة داخلية بالغة التجدد.»

سكتت لحظة، ثم عادت تقول: «ليس كل منا بإمكانه أن يذهب إلى الحفلات على الدوام، فينغمس في علاقات اجتماعية تافهة بغرض اعطاء حياته معنى زائفاً.»

«أحقاً؟» قال كلوديو ذلك وهو ما زال يبتسم، ولم تعرف هي ما إذا كان يضحك لها أم عليها. ولكنها لم تهتم لذلك على كل حال فقد ابتسمت له وهو يضيف قائلاً: «لم أكن أدرك أنك فيلسوفة.»

فنظرت إليه ببرودة: «كلا، لا أظنك كنت تدرك ذلك. كما انني لا أظنك تعلم السبب في أنني تحملت عناء انتظارك إلى هذا الوقت.»

فرفع حاجبه متهكماً: «أتعنين أن ذلك لم يكن للترحيب بعودتي؟» وتصنع اظهار الشعور بخيبة الأمل على ملامحه. «حسناً، هذا مؤسف.»

يا له من ساخر. ولكنها لم تهتم لسخريته هذه، فقد كانت مشغولة بالتفكير في شيء آخر. إذ خطر ببالها، فجأة، أنها لم تكن صادقة مع نفسها حين قررت أن تبقى مستيقظة في انتظار عودته، محدثة نفسها بأن ذلك فقط لكي تخبره بتلك المكالمة الهاتفية من أمها، بينما لم يكن هذا هو السبب على الاطلاق.

أدركت أن السبب الحقيقي لذلك هو لكي تتفحصه حين عودته... كانت تريد أن ترى كيف سيكون مظهره بعد تلك السهرة. هل سيكون شعره أشعث؟ وهل ثيابه متكرّشه غير منتظمة؟ كانت تعلم أنها لن تستطيع النوم قبل أن تراه.

ولكنها الآن لم تكن واثقة من صحة تفسيرها للبراهين التى رأتها... كالسترة المخلوعة، وربطة العنق الملقاة عليها، وأزرار قميصه المفتوحة. ذلك أن الجو كان حاراً في الواقع ما جعله يفعل ذلك، وبالتالي قد يكون السبب بريئاً تماماً، وهذا ما فكرت فيه وهي تراه صاعداً درجات الشرفة نحوها.

قالت له بتهكم خفيف: «إنك مغرور بنفسك، ذلك أن السبب الوحيد الذي جعلني انتظرك هو أن لديّ ما أخبرك به.»

فابتسم لها قائلاً، وهو يفك زراً آخر في قميصه: «آه، اخبريني به إذن.»

فقالت وهي تحوّل عينيها جانباً: «لقد اتصلت أمي.»

بدا عليه الآن الاهتمام، فرفع حاجبه ومال إلى الامام يسألها: «وماذا قالت لك أمك؟»

«لقد كانت سمعت كل شيء عنا.» واغفلت تفاصيل كلام أمها وثورتها، إذ خافت أن يجعله ذلك يشعر بالغرور. «إنهما قادمان في أقرب وقت، وسيكونان هنا غد بعد الظهر.»

فقال باسماً: «إذاً فقد نجحت الخطة.» وخيل إلى راكيل أنها ترى نظرة غريبة في عينيه، وكأن لديه سراً لا يريد أن يبوح به. ولكنها حدثت نفسها بأنها ربما كانت تتصور ذلك.

«هذا خبر جيد.»

«نعم، كنت أعلم أنه سيسرّك.»

«إنه أحسن خبر كنت اتمناه. أحسن نهاية لأحسن سهرة.»

ونظر إلى ساعته قائلاً: «والآن، أظن أنه قد حان وقت النوم، إذ غداً سيكون يوماً حافلاً على الأرجح.»

ونهض واقفاً على قدميه: «هل ستذهبين إلى النوم أنت أيضاً؟»

كانت راكيل تفكر في الأمر نفسه. وهو أنه حان وقت النوم ذلك أنها شعرت فجأة بالنعاس حتى لم تكد تستطيع أن تفتح عينيها، ما جعلها عاجزة تماماً عن متابعة الحديث، حتى انها لم تعد تفهم ما يقول.

اومأت تقول: «أظنني سأصعد للنوم.»

• • •

استيقظت راكيل في الصباح التالي لا تكاد تذكر ما حدث الليلة الماضية.

كانت فقط تشعر بصداع مؤلم. فجلست ومدّت يدها تتناول معطفها المنزلي وهي تفكر في أن عليها أن تنزل إلى المطبخ لتحضر حبوباً تشفي بها صداعها هذا.

ولكن الأسبرين لم يكن هو الوحيد الذي وجدته في المطبخ، بل كان هناك كلوديو جالساً إلى المائدة، ما ملأها نفوراً.

كان في كامل ملابسه، مرتدياً قميصاً أبيض وبنطلوناً فاتح اللون وعندما جمدت عند عتبة الباب، تنظر إليه، رفع بصره إليها من فوق افطاره الذي كان يتناوله.

قال وهو يلقي إليها بابتسامة: «لم أكن اتوقع أن أراك تستيقظين باكراً.»

لم تجب وإنما توجهت مباشرة إلى خزانة الأدوية، رغم

أنها نسيت فجأة صداعها، بعد ان تذكرت سهرتها التعسة ليل أمس في الشرفة. كان ذلك لأجله ولما فعله بها، وسبب هذه المشاعر التي لا تستطيع السيطرة عليها.

والآن نظرة واحدة منها إلى وجهه الوسيم وعينيه السوداوين جعلت خفقات قلبها تتسارع. فتحت باب خزانة الأدوية بعنف، وقد تملكتها التعاسة، وهي تحدث نفسها بأن سبب ارقها وسهرها والحزن الذي يتملكها، كل ذلك بسببه لأنها تحبه ولأنه لا يحبها.

سارت نحو الحوض حيث سكبت لنفسها كوب ماء أذابت فيه حبوب الدواء، ثم أخذت تنظر إليها وهي تذوب، بينما تقول له بصوت هو مزيج من الاتهام والاستياء وكأنها تطلب منه الرحيل، كانت تقول له: «ليس من عادتك ان تتناول افطارك هنا. كنت اظنك تتناول الإفطار دوماً في مقهى قرب مكتبك.» وكان هو قد أخبرها مرة بذلك.

«نعم، في الحالات العادية، ولكنني لست ذاهباً إلى المكتب هذا النهار. بالنظر لما سيأتي به هذا النهار، رأيت الأفضل أن استعد لذلك وانتظر.» وأضاف باسماً: «هذا إلى أن الوقت قد اصبح متأخراً بالنسبة للعمل.»

لم تكن راكيل قد اهتمت بمعرفة الوقت، ولكنها، عندما قال ذلك، التفتت الى الساعة ثم هتفت: «ما هذا؟ لم أكن أظن أنني تأخرت في النوم إلى هذا الحد.»

ذلك أن الذهول تملكها وهي ترى ان الساعة هي الحادية عشرة إلا ربعاً.

ما أن ذابت الحبوب في الكوب، حتى رفعته الى شفتيها، وهي تقول: «حسناً، هذا هو افطاري.» واستدارت متوجهة

إلى الباب، تريد العودة إلى غرفتها، وإذا بنظراتها تقع على حقيبة ثياب كلوديو قرب الباب.

توقفت عن السير، محاولة تجاهل ما شعرت به من انقباض مؤلم في قلبها، ثم التفتت إليه بنظرة حاولت ان تجعلها مجرد فضولية، ثم سألته: «هل أنت راحل؟»

«لا أظن ثمة فائدة من بقائي هنا بعد الآن.» ورفع فنجان القهوة إلى شفتيه وهو يتابع: «لقد قررت أن اريحك مني وأعود إلى بيتي.»

كانت راكيل تعلم أن هذا ينبغي أن يسرّها، وحاولت أن تتظاهر بذلك فعلاً، فابتسمت قائلة: «هذا حسن. إنني واثقة من أن هذا سيجعلنا نحن الاثنين أكثر سعادة.» ولكنها عندما نظرت إليه، امتلأ قلبها حزناً. لم تكن تريده أن يرحل رغم ما في رغبتها هذه من جنون.

حدقت النظر إلى الأرض، وهي تتمنى بصمت لو تستطيع ان تخبره بما تشعر به نحوه.

ولكنه كان يقول غافلاً عما تشعر به من عذاب.

«عندما يصل دينو ووالدتك، اخبريهم بأن يحضروا إلى منزلي. أظن من الأفضل أن تحصل المواجهة بيننا في بيتي ولا حاجة بك لأن تكوني هناك في الحقيقة.»

نظرت إليه راكيل لحظة بتبلّد. لقد كانت نسيت تماماً خلافه مع دينو وأمها. ثم اومأت برأسها بذهن شارد: «كما تريد. عندما يعودان سأخبرهما بأنك تنتظرهما في بيتك.»

«ولا تقولي شيئاً عنا حالياً ذلك أنهما إذا اكتشفا أن الأمر كان خدعة فقد يقرران القيام برحلة أخرى وسيكون من الخزي لنا ان نضيّع كل ذلك الجهد الذي بذلناه.»

ابتسم متهكماً وهو يمسح فمه بالمنشفة: «سأخبرهما بعد ان ننتهي من التحدث عن العمل وطبعاً ستخبريهما بنفسك بعد أن يعودا.»

فعادت تومىء وما زالت شاردة الذهن قليلاً: «حسناً. هذا ما سأفعله إذا كنت تراه الأفضل.»

وضع كلوديو المنشفة من يده على المائدة ثم مدّ يده إلى جيب قميصه الأبيض الذي كان يرتديه وأخرج منه شيكاً مطوياً ألقاه على المائدة أمامه، ثم قال: «هذا ثمن ما افترضت أنني انفقته أثناء وجودي هنا. أظنك ستجدين المبلغ أكبر من ثمن فناجين القهوة وعدة أكواب من العصير التي شربتها.»

فاومأت دون أن تعبأ بالنظر إلى الشيك. فهو كافٍ طالما أن كلوديو يقول ذلك، هذا إلى أن من الصعب عليها الاهتمام بمثل هذه الأمور التافهة في مثل هذا الموقف الحاسم الآن.

كان كلوديو يرشف الآن آخر قهوته، ثم ينظر إلى ساعته لينهض بعد ذلك واقفاً وهو يقول: «أظن عليّ أن أذهب، فإن لديّ بعض المخابرات الهاتفية عليّ اجراؤها سأتركك الآن لكي تعالجي صداعك.»

وعندما نظر اليها بعينين تفيضان رقة وحناناً، شعرت بفيض من الحب الخالص له فهذه هي المرة الأخيرة التي يريها مثل هذه الرقة. لشدّ ما هو رائع. إنه أرق رجل عرفته فلا عجب ان وقعت في غرامه.

ولكن لا ينبغي لها أن تفكر فيه بهذا الشكل، فقد تكون رقته ولطفه مجرد تمثيل، كما أنه لا يحبها وإذا هي اطلعته على مشاعرها نحوه فسينتهي بها الأمر إلى أن تبدو حمقاء مرة أخرى.

كان هو ينحني فيحمل حقيبته قائلاً: «الأفضل أن اذهب الآن. تذكري ما قلته لك. ارسلي دينو وأمك إلى منزلي حال وصولهما.»

عبر المطبخ ثم وقف فقط ليضيف قائلاً: «سأراك فيما بعد فاستمتعي ببقية اجازتك.»

بعد لحظة كان قد خرج من باب المطبخ. وأخذت راكيل تراقبه وهو يرحل، محاولة ان تستوعب ما حدث. لقد رحل... رحل وانتهى كل شيء.

وشعرت فجأة بالبرودة، فحدقت نحو باب المطبخ... لن أراه ابداً بعد الآن. لقد انتهى كل شيء انتهى. واختنقت في حلقها آهة. وشعرت بنفسها تهوي في حضيض اليأس.

لقد غادر حياتي... غادرها إلى الأبد.

الفصل الثامن

وصلت والدة راكيل وزوجها بعد الثالثة مباشرة وكانت راكيل تجلس في الشرفة تحدق في مجلة توقفت منذ فترة طويلة عن محاولة قراءتها، وشعرت خلال احزانها بسرور بالغ لرؤيتهما والسيارة تدرج بهما مندفعة نحو الباب الأمامي.

«أرجو انك لم تقد السيارة بهذا الشكل من كابري.»

قالت راكيل ذلك باسمة وهي ترى والدتها تقفز من السيارة وتندفع متجهة نحوها، فتنحني هي عليها تقبلها على الوجنتين وهي تقول لها: «أؤكد لك ان الوضع لا يستحق حقاً قدومكما بهذه السرعة.»

«لو كان نصف ما سمعته حقيقة فهو يستحق ذلك.» ونظرت حولها عابسة. «أين كلوديو؟ هل هو هنا؟»

«كلا، انه ليس هنا، انه في بيته.»

وتوقفت لتنظر إلى دينو الذي كان يجيبها بقوله: «مرحباً يا راكيل.» عندما جاء يقف معهما.

فأجابت: «مرحباً يا دينو.» ثم تابعت تقول لهما معاً: «اخبرني بأن اطلب منكما الذهاب إلى بيته على الفور، يبدو ان هناك شيئاً يريد ان يتحدث عنه معكما.»

عند ذلك لاحظت راكيل نظرة سريعة تبادلاها، كانت نظرة قلقة وخيل اليها ان نظرة دينو تحمل شيئاً من الشعور بالذنب، ثم عادت والدتها تنظر إليها قائلة: «ولكن ماذا عنك

وعن كلوديو؟ لقد سمعت حقاً قصصاً عنكما مشينة للغاية.»

فكبحت راكيل احمراراً هدد بالتصاعد إلى وجنتيها مصحوباً بما يشبه طعنة سكين من التعاسة وهي تقول: «ان معلوماتك مبالغ فيها، أؤكد لك ان ليس بيننا أي شيء على الاطلاق.»

ثم وقبل ان تقاطعها والدتها قالت لها بثبات: «اذهبي وقابلي كلوديو أولاً، وسنتحدث في هذا الأمر فيما بعد.» وأرغمت نفسها على ابتسامة مطمئنة وهي ترى قلق والدتها البالغ، «هيا وكفى قلقاً للاشيء.»

بعد ذلك بنصف ساعة بعد دوش سريع وتغيير ملابسهما، انطلقت والدتها وزوجها في السيارة مرة أخرى.

عندما اصبحت راكيل وحدها حاولت جهدها ان ترتاح. فذهبت للسباحة في البحيرة، ثم تمددت على مقعد التعرض للشمس، ولكن عبثاً، فقد كان ذهنها يجول دون استقرار. فقد استمرت في التساؤل عما عسى ان يكون دائراً هذه اللحظة بين والدتها ودينو، ولكن افكارها كانت مركزة على كلوديو وحده.

في كل مرة كانت تغمض فيها عينيها، كان وجهه يتراءى لها امامها... ذلك الوجه الرائع بعينيه السوداوين وابتسامته التي كانت تصيبها بالدوران وتملأ روحها بهجة، وكانت لا تنفك تفكر طوال الوقت، لن أراه بعد الآن... فكان هذا يمزقها إرباً... كان ذلك اقسى مما تستطيع احتماله.

يا ليتني لم احضر إلى إيطاليا... لو لم احضر لما تعرفت إليه... ولو لم اتعرف إليه لما وقعت في حبه ولما عرفت كل هذه الأحزان، ومع ذلك ورغم ضراوة الألم الذي

يسحقها، كانت راكيل تحس في اعماقها بأنها ما كانت لتستبدل تلك الأيام القليلة الرائعة التي امضتها مع كلوديو بهدوء وسلام العالم أجمع.

تلك الأيام كانت لا تثمن، وستحتفظ بذكراها الغالية إلى نهاية حياتها.

حدثت نفسها بأنها على الأقل قد عرفت ما هو الحب، وعندما تقع في الحب في المرة القادمة، لا بد من ان تكون أوفر حظاً، لا بد انها في المرة القادمة ستقع في غرام من يمكن ان يبادلها الحب، ولكن هذا الرجاء لم يكن ليخفف عنها. فقد كان من المستحيل عليها ان تتصور نفسها مغرمة بأي شخص آخر.

• • •

عندما عاد دينو ووالدتها كان ذلك بعد ساعتين ونصف تقريباً، وكانت راكيل جالسة في شرفة المطبخ، تهيم في احلام اليقظة وفي يدها كوب من الشاي المثلج. وإذ كانت احلامها تتعلق كلها بكلوديو، فقد كانت لارجاء فيها، ما جعلها تشعر بالارتياح بمجيء والدتها وزوجها.

عندما جاءت والدتها وتهالكت على كرسي عند المنضدة بجانبها، كان الارتياح يسود ملامحها بشكل واضح.

قالت وهي تهز رأسها لابنتها: «حسناً، كان الأمر متعباً حقاً، ولكننا في النهاية انهينا كل نزاع بيننا، ايضاً تلك القصص عنكما، لقد اخبرنا كلوديو ان كل ذلك شائعات مبالغ فيها، وانكما انتما الاثنين مجرد صديقين لا غير.»

سمرت راكيل بنظرة حادة تريد منها اثباتاً لذلك.

إذن فهذا ما قاله؟ انهما مجرد صديقين؟ وشعرت بألم هائل يتملكها إزاء كلماته هذه. أخذت جرعة من الشاي المثلج الذي في يدها ثم قالت لوالدتها: «أليس هذا ما كنت انا قلته لك؟ ان ما سمعته عنا ما هو سوى مبالغة؟ ليس ثمة شيء بيني وبين كلوديو.»

رأت بوضوح تام انه لم يذكر شيئاً عن التمثيلية التي قاما بإدائها، وربما كان هذا هو الأفضل، فقد كان اسهل على والدتها ودينو ان يصدقاه، ووفر عليها مغبة تفاقم الأمر بينها وبينهما بشكل لا ضرورة له.

لكنها حصرت على تغيير الموضوع، وذلك بسؤال والدتها: «وماذا حدث لبقية العمل بينكم؟» ولمدة ساعة أو نحوها، اخذ دينو ووالدتها يفرغان قلبيهما لها وقد تملكهما الإرتياح. بينما كانت هي تستمع إلى هذا الكشف الكلي للأمور.

أول شيء اكتشفته كان ان ما قاله لها كلوديو عن المنزل كان صحيحاً تماماً، فقد كان مايزال ملكه قانونياً، رغم انه كان باعه إلى دينو، وكما كان أدّعى تماماً، فقد قصر دينو في دفع الأقساط... هذا إلى انه كان مديناً له بمبالغ كبيرة من المال.

اكتشفت أيضاً ان والدتها لم تكن تعلم شيئاً عن كل هذا، على الأقل قبل ليلة أمس حين استخلصت الحقيقة من زوجها دينو.

ألقى دينو نظرة ندم عميقة على زوجته، وهو يقول: «كنت غبياً، فقد سمحت للأمور بأن تخرج عن سيطرتي كلياً، وفي النهاية كنت مديناً لكلوديو بالكثير من النقود

التي لم اجد أي طريقة لسدادها، وعندما اخذ يصر عليّ تملكني الغضب وجعلت الأمور أسوأ.» وهز رأسه وهو يشرح الأمر لراكيل: «كما ترين، كان الذعر يتملكني من ان ننتهي في الشارع، ولم استطع ان اسمح بأن يحدث هذا لوالدتك.»

فربتت والدتها على يد زوجها ثم التفتت إلى ابنتها قائلة: «لقد فعل كل ذلك لأجلي، كان ذلك هو السبب في استدانته تلك المبالغ من كلوديو، رغم ادعائه بأنها لإنعاش اعماله، وذلك ليشتري لي المجوهرات ويأخذني في رحلات خلابة.» قطبت جبينها وهي تقول: «انه لم يدرك ان كل ما كنت أريده هو نفسه فقط.»

كان تأثر راكيل عميقاً جداً وهي تسمع كل هذه الاعترافات، لقد كان دينو تصرف بحماقة بالغة، ولكن لا بد انه يحب والدتها كثيراً، تماماً كما تحبه والدتها كما يبدو بوضوح.

سألتهما: «إذن فهذا هو السبب في رحيلكما إلى كابري؟ كنتما تحاولان الهرب من كلوديو.»

فأجاب دينو أولاً: «لقد قدمت لوالدتك بعض الاعذار، قلت لها ان أموراً هامة تتطلب منا الرحيل إلى هناك...» وخفض بصره متابعاً: «نعم الحق معك، فهذا هو سبب رحيلي. ذلك انني لم اعد استطيع احتمال الضغط. وهكذا ظننت اننا إذا اختفينا عن الأعين، فسيتركنا لسبيلنا...»

فقاطعته زوجته: «لقد كرهت ان أرحل واتركك، ولكنني شعرت بأن هنالك أمور سيئة، وكان عليّ ان أقف بجانب دينو، رغم انه رفض ان يخبرني عما كان يحدث.» ورمقت

زوجها تلومه برقة، «ولكن عندما جعلني اتصل بك هاتفياً لأطلب منك اخذ الملف إلى محاميه... حسناً، عند ذلك اخذت اصر عليه بأن يخبرني. وشيئاً فشيئاً عرفت القصة كاملة.»

بدا الارتياح على دينو وهما يتحدثان عن الأمر: «اتمنى الآن لو كنت اعترفت بكل شيء قبل ذلك، فقد ساعدتني إميلي في التفكير بصفاء، كما انها اصرت على العودة لمواجهة الموقف...»

لم تملك راكيل إلا الابتسام بجفاء لهذا: «إذن فقد كنتما صممتما على المجيء على كل حال... حتى ولو كنت انا وكلوديو...»

سكتت ثم اصلحت جملتها: «حتى ولو لم تسمعي كل تلك القصص عنا.» وعندما أومأت والدتها بالإيجاب، اضافت هي تقول: «وماذا حدث عندما ذهبتما لرؤيته؟»

استقامت والدتها في جلستها، ثم قالت وقد بدا على ملامحها عدم التصديق: «حسناً، كان ذلك اكثر الأمور بعثاً للدهشة، فقد كان في غاية الرقة، إذ حالما اعتذر دينو وقال انه يريد ان يعقد معه صلحاً، إذا به في منتهى التهذيب والتفهم.»

«وهكذا وصلنا إلى اتفاق، سنسدد ديوننا تدريجياً وفي نفس الوقت نبقى في المنزل.»

كانت راكيل مسرورة لأجلهما ولم تدهش وهي ترى كلوديو يتصرف بكل هذا الكرم، فقد كان رجلاً نبيلاً، تملكتها الكآبة وهي تفكر في انه لو لم يكن كذلك لما أحبته، وقالت لوالدتها: «انني مسرورة حقاً لانتهائكما من هذه المشكلة.»

لكن والدتها كانت ماتزال تمعن الفكر في هذه الناحية الجديدة التي عرفتها في كلوديو، ثم قالت متأملة: «اتعلمين؟ اظنني ربما ظلمته فهو ليس بالشخص المتغطرس المتحكم. إذ حالما ابتدأنا نصبح متفاهمين معه، اصبح في غاية الرقة واللطف.»

فأومأ دينو برأسه مؤكداً على كلامها: «كان ذنبي انا من جعلك تظنينه متحكماً، فهو لم يكن متحكماً قط، انه لا يحب ان يخدعه احد، ولكنه ليس متحكماً، وما كان لي ان اقول عنه ذلك.»

كل هذه المدائح المفاجئة لكلوديو، احدثت في نفس راكيل اثراً بالغ السوء، إذ بدا فجأة وكأنها لم تعد تستطيع التنفس، كما عاد قلبها إلى الخفقان بسرعة بالغة.

عليها ان تهرب، وشرعت في الوقوف وهي تقول: «انني ذاهبة إلى غرفتي لتغيير ثيابي.» واغتصبت ابتسامة، «عندما اعود يمكنك ان تحدثيني بكل شيء عن كابري.»

لكن والدتها كانت مستمرة في تأملاتها عن كلوديو: «أتعلمين؟ لقد اعجبني تماماً الآن.» ثم قطبت جبينها، «ولكن من المؤسف ان يعامل النساء بهذا الشكل المخزي.»

لم تستطع راكيل السكوت: «انه لا يعامل النساء بشكل مخزٍ، قد يكون عنيفاً احياناً، ولكنه يعامل النساء باحترام على الأقل، وهذه تجربتي معه.»

كانت والدتها تحدق إليها فاغرة فاها، ثم قالت: «انني مسرورة جداً لسماعي ذلك.»

لكن قبل ان تقول كلمة أخرى، كانت راكيل قد عادت إلى المطبخ وصدرها تجيش فيه كل انواع المشاعر... الألم،

الزهو، الحب، العذاب. ولكن حالياً كان اهمها هو الزهو... الزهو بكلوديو لأنه أروع رجل في العالم، وكذلك مزهوة قليلاً لأنها اختارت مثل هذا الرجل لتقع في غرامه.

* * *

لكن أروع رجل في العالم لا يحبها، لقد كان واضحاً تماماً انها لم تعبر خياله.

مر اسبوع لم تسمع راكيل منه شيئاً، ولم يكن هذا يعني انها كانت تتوقع منه ان يتصل بها، ولكنها كانت ترجو ذلك، وكانت تحدث نفسها الآن بأن الوقت قد حان لكي تكف عن الأمل. وقد حان الوقت للرجوع إلى الوطن، ان تضع بعض المسافة بينها وبينه، ان تبدأ بإخراجه من ذهنها.

ذلك انها كانت تعلم بأنها طالما هي موجودة هنا فكل ذلك مستحيل، ففي كل مرة زارت فيها فلورنسا كانت تتطلع لرؤيته باستمرار، آملة ان تراه يبرز لها فجأة من منعطف أو تقابله في شارع ما، وفي الفيلا كلما ارتفع رنين جرس الهاتف، كانت تتمنى لو كان هو المتكلم، وابتدأ الأمر يؤلمها إلى حد بالغ، عليها ان تكون شجاعة وتتصرف بحزم!

وهكذا ذات مساء حين كانوا جالسين إلى مائدة العشاء، قالت تخاطب والدتها ودينو: «لقد قررت العودة إلى انكلترا مبكرة عما كنت أنويه.» وعندما اخذا بالاحتجاج قالت بلهجة قاطعة: «لقد حجزت فعلاً على الطائرة لبعد غد.»

لم يكن ثمة سبيل للتراجع، وقد فات الأوان الآن لإقناعها بالعدول عن ذلك.

وتنهدت بارتياح. ان امامها اقل من يومين من العذاب قبل ان ترحل، وستتمكن بشكل ما، من تجاوز ذلك.

* * *

خططت راكيل برنامجاً خاصاً لنفسها تمضي به اليوم الأخير لها.

انها ستمضي النهار في فلورنسا حيث تقوم بكل ما لم تستطع القيام به حتى الآن، مثل زيارة لمعهد الفنون، وحتى شراء حذاء لها، ثم عند المساء عليها ان تستضيف والدتها وزوجها على العشاء، وسيمضي النهار بسرعة بالغة وهذا ما كانت تريده. وفي طرفة عين تكون في الطائرة عائدة إلى الوطن.

أمضت الصباح في بارجيلو تتفرج على المنحوتات التي لا تثمن هناك، ثم دخلت مطعماً في وسط المدينة حيث جلست وقتاً طويلاً، وكانت قد قررت ان تجعل معهد الفنون خاتمة المطاف، حيث ان هناك منحوتة لمايكل انجلو جاعلة من ذلك ذروة تجوالها.

ووجدت الحقيقة اكثر روعة من الخيال، سارت في المعرض بين المنحوتات الفخمة إلى حيث كان يقف مايكل انجلو يخطف الأنفاس بعظمته، عند ذلك وقفت برهبة بالغة رافعة بصرها اليه بصمت، كان أجمل وأروع شيء وقعت عليه عيناه على الاطلاق.

وقفت فترة طويلة هناك كغيرها من السائحين، تتأمل بإعجاب صامت، مبتسمة لنفسها وقد نسيت مؤقتاً آلامها.

وعندما شعرت أخيراً بالإكتفاء عادت ادراجها على طول

المعرض، ونفسها مشبعة بجمال المعهد المهيب، ولكنها ما لبثت ان توقفت فجأة عن السير، وقد وقف قلبها عن الخفقان، أتراها كانت تحلم؟

لكن هذا لم يكن حلماً، فقد كان يقف بقرب صف من المنحوتات شخص طويل القامة متين البنيان في بنطلون فاتح اللون وقميص أبيض مخطط، وسترته معلقة على كتف واحدة.

كان الآن قد اخذ يتقدم منها بصمت، ثم قال برقة: «راكيل.»

فنظرت راكيل اليه شاعرة وكأن الحياة قد فارقتها، كانت المشاعر التي ملأت نفسها فجأة من العنف، بحيث لم تستطع تحملها، شعرت بالذهول والعجز والضعف الكلي، كما امتلأت بفيض مفاجيء من البهجة الخالصة.

همست: «كلوديو، ما الذي تفعله هنا؟»

فتقدم اليها يقول: «أريد ان اتحدث اليك.» وقبل ان تنطق بكلمة احتجاج كان يقودها إلى حيث باب الخروج، وبعد ذلك بلحظة كانا في الخارج تغمرهما أشعة شمس الأصيل الدافئة.

اخذت تحتج بقولها: «لِمَ كل هذا؟» وهي تحاول ان تخلص معصمها من يده بينما كان هو يجرها في الشارع بقوة، «من غير المعقول ان تظهر هكذا فجأة وتخطفني.»

توقف كلوديو والتفت ينظر اليها، لأول مرة لاحظت راكيل النظرة المتوترة المجهدة في عينيه، وعندما أخذت تنظر اليه باضطراب وقد تشوش ذهنها قال لها: «انني لا اخطفك، ولكن علينا ان نتحدث معاً، نتحدث الآن، لقد تحدثت مع

والدتك في الهاتف منذ نصف ساعة، وقد اخبرتني بانك صممت على الرحيل غداً.»

عندما أومأت برأسها، قال وهو يبتسم عابساً: «إذن، يجب ان نتحدث الآن، فلنذهب إلى بيتي حيث سنكون بمفردنا.»

كانت سيارته المازيراتي الفضية اللون واقفة في آخر الشارع. فصعدت راكيل اليها وجلست تحدق في حاشية ثوبها بتوتر، ولم يرتفع بصرها طوال العشرين دقيقة التي استغرقتها الرحلة خلال تلال فايزول.

كانت تشعر بنفسها متجمدة بشكل غريب، كما أنه لم ينطق احد منهما بكلمة، رغم ان الجو بينهما كان متوتراً، ولكن هذا لم يكن وقت الأحاديث التافهة، كما أحست راكيل، فقد كان واضحاً تماماً ان لديه شيء بالغ الأهمية يريد ان يقوله لها وعندما صعدا الطريق المتعرج، حاولت ان لا تتكهن بما عسى ذلك ان يكون، فقد ملأها الخوف... الخوف من ان يكون ما ينتظرها هو أسوأ واكثر مرارة وخيبة أمل.

كانا الآن يمران من خلال بوابة عالية قائمة بين نسرين مهيبين من الحجر، ثم تابعا السير خلال طريق فسيح تحفه اشجار الصنوبر من الجانبين، إلى ان توقفت بهما السيارة امام فيلا بالغة الفخامة.

إذن فهذا هو منزله، اخذت راكيل تفكر في ذلك وهي ترفع بصرها إلى ذلك المنزل الرائع الجمال بجدرانه المبنية بحجارة وردية اللون وشرفاته التي تتدلى منها الأزهار وابراجه ذات الأسطح القرميدية الحمراء. لطالما كانت تتساءل عما يمكن ان يكون شكل منزله، وها قد رأته الآن، كان أشبه

بقصور القصص الخرافية... فهو يشبهها نوعاً ما، ولكنها هي ليست جزءاً من تلك القصة الخرافية... شعرت بالخوف يتملك قلبها عندما قال لها: «ها قد وصلنا. فلندخل.»

عندما اخذ في الترجل من السيارة، تشبثت راكيل بمقعدها، ولأول مرة منذ صعودها السيارة تجرأت على ان تنظر اليه، «ما سبب هذا كله؟ انني لا اظنها فكرة جيدة، وربما من الأفضل لو اعدتني إلى المدينة.»

«هذا ما لن افعله، فأنت لن تفلتي مني الآن.» وخرج من السيارة صافقاً الباب خلفه، ثم دار حول السيارة إلى حيث فتح لها الباب، ثم مد يده إليها قائلاً: «لا تخافي، فلن آكلك.»

لم يكن هذا ما كانت تخافه، فهي ما كانت تمانع في ان يأكلها، ولكنها لم تقل له ذلك انها لم تقل شيئاً في الواقع وإنما وجدت نفسها تبتسم له بشيء من التوتر، إزاء ابتسامته الساخرة وهو يقول لها ذلك، وشعرت باليأس، فهي لا تستطيع ابداً ان تقاومه وهو يبتسم.

سار بصمت ليدخلا المنزل من خلال الباب الخارجي الكبير إلى ردهة فخمه، ثم قال لها: «فلندخل إلى غرفة الجلوس.» ثم قادها إلى غرفة جلوس بديعة فسيحة تغطي أرضها الخشبية اللامعة سجادات ملونة، بينما قامت عليها مناضد منخفضة منحوتة مصابيح رائعة الجمال، كانت اجمل غرفة رأتها راكيل في حياتها.

«تفضلي بالجلوس.» وأشار لها إلى إحدى الأرائك تحت مرايا ضخمة ذهبية الإطارات، وهو يسألها: «اخبريني ماذا تريدين ان تشربي.»

فقالت: «أريد مياهاً معدنية.»

وبعد لحظات عاد وفي يديه كوبين مليئين مع الثلج والليمون، ثم جلس على الأريكة بجانبها، نظر اليها لحظة قبل ان يدخل إلى الموضوع: «إذن فقد كنت سترحلين دون ان تودعيني، ألا تظنين انه كان عليك ان تتصلي بي هاتفياً لتقولي وداعاً، على الأقل؟»

فشعرت بشيء يهوي في اعماقها، أترى هذا ما احضرها إلى هنا لأجله؟ لكي يعنفها؟ لكي يصر على ان تودعه حسب اللياقة؟

جذبت نفساً عميقاً هادئاً، تهدىء بذلك من خفقات قلبها التي تسارعت فجأة، ثم اجابته قائلة: «لا أدري لماذا يهمك سواء قلت لك وداعاً أم لا.»

فرفع حاجبه: «لا تدرين؟»

«كلا، لا أدري في الواقع، انني واثقة من ان ثمة الكثير مما يشغلك عن ذلك.» واخذت جرعة من كوبها وقد توترت اصابعها حول الكوب، ثم اخذت تحدق في المياه الفضية لحظة وهي تفكر في انها كانت على صواب، إذ ما كان لها ان تأتي إلى هنا قط.

ساد الصمت لحظة، عاد بعدها كلوديو يقول برقة: «اظن ما تعنينه بقولك (ان ثمة الكثير مما يشغلك عن ذلك) هو مختلف انواع النساء.» وعندما رفعت راكيل بصرها اليه وقد فوجئت بقوله هذا، تابع يقول بنفس اللهجة الرقيقة: «حسناً، لا استطيع ان ألومك فلديك كل الأسباب التي تجعلك تعتقدين بذلك.»

«نعم لدي ذلك.»

كان قلبها يخفق بعنف، واصابعها حول كوبها

كالمخالب، أرادت ان تضعه على المنضدة ولكنها خافت ان تهرقه، لماذا يفعل بها هذا؟ لماذا يعذبها؟ كانت افكارها تجول في خاطرها... ألا يعلم انها لا تريد ان تتحدث عن صديقاته؟

ولكنه كان يتابع كلامه قائلاً: «انه ذنبي انا، فقد جعلتك تعتقدين ذلك.»

ثم مال إلى الأمام ونظر اليها عابساً: «ولكن صدقيني ان المسألة كلها مجرد تلفيق.»

«ماذا؟ يا لها من قصة؟»

واعتدلت في جلستها، ماذا يظنها؟ لا بد انه يمزح، ولكن لم يكن يبدو في عينيه المزاح، وإنما كان فيهما شجن وهو يجلس جامداً ينظر اليها، وأخيراً سألها: «هل حقاً تصدقين كل تلك القصص التي اخبرتك والدتك بها عني؟»

فقالت وكانت قد توقفت منذ وقت طويل عن تصديق ذلك: «كلا، انني اعلم ان في ذلك شيئاً من المبالغة، ولكن هذا غير مهم على كل حال...» نظرت اليه بعينين ضيقتين «لقد رأيت بنفسي ان حياتك العاطفية تشغلك على الدوام، ولكن هذا لا يعني انه من شأني، فأنت رجل حر يمكنك ان تفعل ما تشاء.»

«نعم، يمكنني هذا وما أريد ان افعله الآن في هذه اللحظة هو ان اقنعك بأن المظاهر هي خداعة احياناً... أو دعيني اقل لك ذلك بشكل آخر...» سكت كلوديو لحظة ثم وضع كوبه على منضدة قريبة، وهو يتابع قائلاً: «الحقيقة يا راكيل، هي انني كنت اقوم بلعبة امامك، محاولاً ان اجعلك تعتقدين ان لدي كثيراً من الصديقات.» وارتسمت على فمه ابتسامة ندم. «ربما كان نجاحي في ذلك اكثر مما ينبغي.»

كانت راكيل تعبس حائرة: «انني لا اصدقك فقد رأيت برهان ذلك بعيني الاثنتين، وعلى كل حال ما الذي دفعك إلى القيام بذلك؟»

«لكي اجعلك تغارين.»

«لكي تجعلني اغار؟» وداخلها الإضطراب بينما جمدت في مكانها دون ان تجرؤ على النظر اليه، ثم ضحكت بعصبية: «ما أسخف هذا، وماذا عن الفتاة الشقراء التي رأيتها معك في المرسم.»

«ليزا؟ لقد كانت صديقة سابقة لي وهي الآن زبونة عندي، فأنا اصمم لها منزلاً لها ولخطيبها.»

انها حكاية جيدة، وضحكت غير مصدقة، لوت شفتيها وهي تقول له: «انها لم تكن تبدو لي صديقة سابقة جداً.»

فابتسم كلوديو ابتسامة باهتة: «لقد سمعت المصعد آتياً، فعرفت انك قادمة فيه، وهكذا تظاهرت امامك بأن بيني وبينها علاقة حميمة.»

كانت خفقات قلبها تتسارع، واخذت تراقب تنفسها بقوة.

«ثم ماذا عن ذلك الموعد الذي كان لديك في تلك الليلة؟» أتريد ان تقول ان ذلك كان تمثيلاً هو أيضاً؟»

«بل كان تمثيلاً كاملاً، فقد ذهبت إلى العشاء مع بعض الأصدقاء من الرجال، ثم جلسنا نلعب مونوبولي إلى وقت متأخر.»

وفي الليلة الأخرى...؟ ماذا عن كيرستين؟ لم يكن ذلك تمثيلاً.»

فهز رأسه قائلاً: «انني لم اخرج لمقابلة كيرستين.»

«ولكن ممن كانت تلك المخابرة الهاتفية؟» وفاض الألم

في نفسها فجأة، فقد عاد كل شيء إلى ذاكرتها، ثم وقد شعرت بالكراهية للطريقة التي كانت تستجوبه بها بهذا الشكل، ما بدت معه وكأنها حبيبة متسلطة غير واثقة من نفسها، انفجرت فجأة غاضبة في وجهه وهي تقول: «لماذا تحدثني عن تلك الحكايات السخيفة الخرافية؟ فأنا لا يهمني كم حبيبة لديك.»

«لا يهمك؟»

بدا نوع من الهزيمة في عينيه، واتكأ إلى الخلف حيث اخذ يراقبها بصمت، لحظة، قال بعدها: «إذن فان خطتي في جعلك تغارين قد فشلت؟»

فغصت راكيل بريقها. كان ذهنها يسبح ونبضات قلبها المتسارعة تكاد تدفعها إلى الجنون. ثم قالت وهي تتجنب بحذر إجابة سؤاله: «وما الذي يجعلك تريدني ان اغار؟»

«ربما لأنني انا كنت أغار، كان نوعاً من المعاملة بالمثل...» وتنهد قائلاً: «كنت احاول ان آخذ مكان مارك في قلبك.»

كان على راكيل ان تضع كوبها من يدها الآن، فقد كان في الإمساك به جهد فوق طاقتها، لقد بدا وكأن كل عضلة في جسمها قد استحالت إلى ورق، فتحت فمها لتتكلم، ولكنها عادت فأقفلته شاعرة بعجزها عن الكلام بشكل مترابط، فقد كان عقلها يدور كالدوامة.

والآن لكي تصبح الأمور اكثر سوءاً، إذا بكلوديو ينهض واقفاً ثم يتقدم ليجلس بجانبها دون ان يلمسها، ثم يقول بصوت محتدم بالمشاعر إلى حد كاد يثير خوفها: «ان مارك ليس بالرجل المناسب لك، وسيكون من الخطأ ان

تتزوجيه، انني اشعر بذلك في اعماقي، دوماً كنت اشعر بذلك.»

«كلوديو...» سكت مترددة وقد سمرتها عيناه السوداوان، كانت المشاعر التي رأتها فيهما تكاد تحرقها، فهي لم تر قط، من قبل، مثل هذه المشاعر العنيفة في عيني احد.

«انني اعلم بأنك سبق ووافقت على الزواج منه...»

تهدج صوته قليلاً وهو يتابع قائلاً: «وربما ليس مسموحاً لي بالتدخل... ولكنك سترتكبين خطأ بالزواج منه وأنا لن اسمح لك بذلك، راكيل، انا...»

فقاطعته قائلة بسرعة وقد جف فمها: «انني لم أوافق على الزواج منه، لقد كان طلب مني قبل حضوري إلى هنا بالضبط، الموافقة على ذلك، ولكنني رفضت.»

وخفضت بصرها وهي تتابع: «انني اعلم انه ليس من الصواب الزواج من مارك حتى قبل مجيئي إلى هنا.»

«ولكنني كنت اظن...»

«لقد ضللتك.» وتساءلت عما إذا كانت تجرؤ على رفع بصرها إليه مرة أخرى، فقد كان نظرها مثبتاً على حاشية ثوبها دون ان ترى شيئاً، «لقد فعلت ذلك... فعلته بسببك.»

ثم تمسكت بشجاعتها ورفعت بصرها اليه بسرعة، شاعرة بالعجز والضعف، بشكل مفاجيء، ولكنها كانت تريد ان ترى ردة الفعل لكلامها هذا، في عينيه، ثم ابتسمت بتوتر وهي تقول: «انه من باب المعاملة بالمثل... انا أيضاً.»

امتلأت عيناه بعدم التصديق... عدم تصديق مليء بالسعادة، وفجأة اذا بالشجن الذي كان يملأ نظراته قد تبدّد.

وقال ضاحكاً: «المعاملة بالمثل؟ أتعنين ذلك حقاً؟ اتعنين انك كنت تقومين بنفس اللعبة مثلي؟»

«انها تبدو مثلها.» وعندما نظرت اليه، شعرت بالدوار، واخذت تحدث نفسها، اتراني احلم؟ وهل كل هذا حقيقة؟

ولكنها في اللحظة التالية كانت قد أدركت انها حقيقة لا شك فيها، عندما اقترب منها هامساً، وعيناه تفيضان حباً: «احبك يا راكيل.»

فبادلته الهمس قائلة: «وانا احبك.»

نظر اليها طويلاً، ثم عاد يهمس قائلاً: «انني الرجل الذي يناسبك، وانت تعرفين ذلك، انني الرجل الذي يجب ان تتزوجيه، أرجو انك تدركين ذلك، واذا كنت لا تدركين، فسأستعمل كل ما يمكنني لكي اقنعك.»

نظرت راكيل اليه وقد اذهلتها هذه السرعة التي كان يتحدث بها، ثم سألته بمرح: «وكيف تنوي ان تقنعني؟»

«بألف طريقة، سأرسل اليك أزهاراً، سأشتري لك هدايا، سآخذك لزيارة اماكن رائعة...»

ثم سكت قليلاً حابساً انفاسه: «ولكن اكثر من كل هذا، سأريك مقدار حبي لك.»

فجف فمها تماماً مرة أخرى، هذه الطريقة الأخيرة ملأتها بالمشاعر.

فقالت وقد غصت بريقها: «أحقاً؟»

شعرت بفيض الحب يغمرها، وكان من العنف والسيطرة ما جعلها توشك على البكاء وفجأة همست قائلة وهي تنظر في عينيه: «انك أول رجل في حياتي.»

«الأول؟ اتعنين ذلك حقاً، يا حبيبتي؟»

فأومأت ثم قالت: «انني لست بحاجة إلى الزهور والهدايا والرحلات لكي احبك، فقد سبق وأدركت انك الرجل المناسب لي، ولن يكون هناك رجل آخر، الرجل الوحيد لي هو أنت.»

«هل هذا يعني انك ستتزوجينني؟»

وأومأت قائلة: «نعم، هذا ما اعنيه.»

فابتسم ثم قال: «انك لن ترحلي غداً إلى أي مكان هل تعرفين هذا؟ ما عدا إلى والدتك ودينو لتخبريهما، انني لن أدعك تتركينني مرة أخرى ابداً.»

«وأنا لن اتركك أبداً، أبداً.»

عندما حدّقت إليه، وإلى روعة الحب الذي كان يفيض من عينيه، أدركت انها وجدت أخيراً السعادة التي كانت تحلم بها.

تمت

www.elromancia.com